لا أحـــد

No One

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

❖ **الكتاب: لا أحد / No One**

❖ **المؤلف: عائشة بوشارب**

❖ **نوع العمل: رواية**

❖ **الطبعة الأولى 1444 هـ - 2022 م - القاهرة**

❖ **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

❖ **رقم الإيداع: 26015 / 2022**

❖ **الترقيم الدولي ISBN: 9789779946208**

❖ **الرقم الكودي في ببلومانيا: b21l263-22**

❖ **الغلاف: سمير محرز**

❖ مدير عام: جمال سليمان - مدير إداري: ديانا حمزة – مدير تنفيذي: محمد جلال

❖ العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة

عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة

❖ تليفاكس: 0026337855 - 00224769648

❖ محمول: 00201030504636 – 00201201001153 – 00201210826415 - 00201208868826

❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

❖ الموقع الإلكتروني: www.bibliomaniapublishing.com

❖ **البريد الإلكتروني (E-Mail): bibliomania.eg@gmail.com**

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة ©

ببلومانيا للنشر والتوزيع
BIBLIOMANIA PUBLISHINGS
15 شارع السباق «مول الميريلاند» – هليوبوليس – القاهرة
00201030504636 – 00201210826415 – 00201201001153
00201208868826 – 0021274985232 – 002 2 633 7855
/bibliomania.eg

amazon
مكتبة جرير JARIR BOOKSTORE
Google Play
www.bibliomaniapublishing.com

لا أحد

No One

رواية

عائشة بوشارب

بيلومانيا للنشر والتوزيع
BIBLIOMANIA PUBLISHINGS

ببلومانيا للنشر والتوزيع
BIBLIOMANIA PUBLISHINGS

www.bibliomaniapublishing.com

2022

جميع الحقوق محفوظة ©

"لا تتعمق في تصديق خيالك كي لا تنسى واقعك"

"ما هذا المكان المظلم؟!.."

قمت من على الأرض، نفضت عن يديّ الغبار ثم ركزت عينيّ على ما حولي من أشياء غريبة أراها للمرة الأولى في حياتي، استغرق الأمر دقيقة كاملة لاستيعاب المكان الذي أتواجد به، تيقنت بأنني داخل قبو صغير مظلم وبارد به نافذة صغيرة ينبعث من خلالها ضوء قمر خافت يسمح برؤية سطحية للأغراض القديمة المتناثرة بالقرب مني وسلالم خشبية تؤدي للأعلى نحو باب مهترئ يبعث على الخوف، تقدمت بخطوات حذرة نحو النافذة لعلي ألمح أحدا ما بالخارج، لكن كل ما أمكنني رؤيته كان أشجار الصنوبر فارعة الطول، المتراصة كجدار، ومن خلفها تلك الغابة الكثيفة بأشجار اختلفت أحجامها.

سكون المكان من حولي دبّ فيّ الرعب، حتى أن كل من يراني على هذه الحال سيظنني الأميرة رابونزل، لكن الفرق الوحيد بيننا هو مكان السجن الذي سُجنا فيه.

لطالما استغبيت شخصيات أفلام الرعب التي عادة ما تكون في حالة خطر تقوم على إثرها بالصراخ طالبة النجدة، وكأنها تنادي على القاتل لتخبره قائلة "ها أنا هنا تعال واقتلني!" شخصيتي تختلف عنهم، حتى لو كنت خائفة من الموت ولو كان سكينا يقبع فوق رقبتي، يستحيل ان أبدو ضعيفة أمام قاتلي، أفضل الموت بكرامة..

أفكار القتل وتخيلات موتي بأبشع الطرق انهالت على رأسي مرة واحدة، ولأول مرة تحرقني دمعة عند هبوطها على خدي بهذه الطريقة، كل ما تمكنت من سماعه في هاته

اللحظة المرعبة هو صوت تنفسي وأصوات الريح المنبعثة من الخارج، قلبي يكاد يخرج من مكانه، فيما يديّ المرتجفتين تحاولان تهدئة أسناني المصطكة خوفا من إصدار أي صوت قد يعود علينا بالضرر لاحقا.

في محاولتي لطرد الهلوسات رحت أمسح عينيّ الدامعتين حتى سمعت صوتا آخر غير صوت الريح، كان قادما من الباب الخشبي، أدرت برأسي ناحيته ثم تقدمت نحو السلالم للتأكد من أن ما سمعته حقيقي، حتى رأيت مقبض الباب ينحني نحو الأسفل، انفتح الباب وتقدم منه شخصا لم أتمكن من رؤية وجهه بسبب الضوء الساطع من المصباح الذي وجهه ناحيتي فكان كل ما تمكنت من رؤيته هو قدماه الحافيتان، أحسست بالهلع، تراجعت بخطوات مرتعشة نحو الخلف، ثم صرخت بوجه الشبح القادم نحوي سائلة: من أنت؟؟!

استيقظت على صوت المنبه الذي أنقذني من ذلك الكابوس المخيف، شردت لثوان قليلة محاولة استجماع انفاسي المتقطعة ثم قمت من فراشي المنكمش ورحت أفتح حاسوبي بيدين ما يزال أثر الارتجال باديا عليهما، وحتى دون أن أغسل وجهي، ولا تستغربوا من فعلي فتصفحي للحاسوب فور نهوضي من النوم عادة من عاداتي السيئة.

****

فتحت حاسوبها أبيض اللون وراحت ترفع شعرها بمشبك الزهرة منتظرة اشتغاله بكل حماس حتى تبدأ بكتابة مغامرة جديدة استوحتها من خيالها أو ربما من كوابيسها غير المنتهية وقبل أن تفتح الشاشة انعكست ملامحها الناعمة عليها والتي

راحت تقطر منها براءة الأطفال، بعينين عسليتين واسعتين وأنف دقيق مستقيم أما شعرها فلم يرى لنعومته مثيل، فيما طُبعت شامة رقيقة فوق شفتيها مباشرة زادتها جاذبية وجمالا..

"أيها القارئ العزيز، إن كنت تقرأ هذا، فثق بأنك قادم على أشياء رائعة، لديك ابتسامة من قدرها أن تغير العالم ويمكنك فعل أكثر مما تعتقد أنك قادر على فعله، كن صامتا في قولك وأحدث زلزالا بأفعالك، وثق دائما بأنّك تستطيع فعل أشياء لا يمكن لعقلك أن يصدق بأنك فعلتها، سيأتي يوم قريب تصعد فيه أعلى القمة وتنظر للأسفل صارخا بأعلى صوتك أنك فعلتها وتجاوزت جميع العقبات لوحدك، لوحدك تماما!"

توقفت عن الكتابة للحظة، راحت تمسّد رقبتها المنحنية مغمضة العينين، فجأة، سمعت صوت شعار الحاسوب وكان الصوت جديدا عليها فظنته برنامج حماية الحاسوب من الفايروسات لكنها وعندما ركّزت عينيها جيدا، وجدت مجسما ظهر فجأة من العدم، على سطح المكتب، وانفتح لوحده من دون أمر منها، كان شبيها لمجسمات برامج الروت، باللّون الأسود والأحمر القاتم، عندما أمعنت النظر فيه ظهرت عليه كلمتان بالإنجليزية مكتوبة بالخط العريض

«**no one**» .. قامت بازالته بضغطة زر واحدة غير مكترثة، ثم فرقعت أصابع يديها بحماس وراحت تكمل كتابتها قبل أن تهرب منها أفكارها، لكن سرعان ما عاد ذاك المجسم الغريب ليحمل معه هذه المرة رسالة مفاجأة لها "مرحبا مايا" استغربت واحتارت في الوقت ذاته من هذا المجهول الذي عرف اسمها ثم راحت

تعصر أفكارها لتتأكد مما إذا كانت تضع اسمها على أي شيء أو أي ملف يتعلّق بالحاسوب، لكن جميع الأشياء دلّت على عكس ذلك، تشجعت وردت على المجهول قائلة:

- من معي؟!

لم تمر لحظات حتى رد عليها قائلا:

- أنت لا تعرفينني.

ضحكت بنبرة تعلوها سخرية من هذا الأبله الذي يحدّثها من وراء حجاب ثم فكرت في شتمه لإضاعته وقتها الثمين، لكن فضولها أبى إلا أن تتراجع عن فعل ذلك، ودفعها لتكتب مستفسرة:

- لماذا تراسلني إذا؟
- لأنّني أعرفك!

زفرت بعدما أحست أن هذه اللعبة السخيفة ستطول ثم كتبت مختصرة الموضوع:

- حسنا يا غريب الاطوار، إلى اللقاء..

لكن خطتها في إنهاء الموضوع لم تنجح فسرعان ما كتب لها جملة جعلت قلبها يقفز من مكانه:

- أنا أعرف بأنكِ في المنزل الآن، بل وبمفردك

لم تعرف كيف تردّ ولم تشعر بعينيها اللتان راحتا تقفزان من الباب إلى النافذة بترقب وتوجّس، ثم حاولت أن تكسب بعض الوقت ريثما تطلّ من النافذة قائلة:

- كلا.. هذا غير صحيح!

- أحب الأطفال عندما يكذبون، رد عليها
- أولا أنا لا أكذب وثانيا لست طفلة، عمري سبعة وعشرون سنة.
- لا! بل عمرك ثلاث وعشرون سنة ولم تمر أشهر كثيرة على إتمامك لها.

تفاجأت مايا ممّا قاله كونه محقا، فيما أخذ قلبها بالخفقان أكثر من الأول وبسرعة لم تشهدها من قبل حتى ظنّت أنّه على وشك التوقف، حاولت تجاهله بعدم الرد عساه يمل ويتركها وشأنها لكن العنيدين أمثاله لا يملون بهذه السرعة ليضيف قائلا:

- إنّها تمطر بالخارج والشوارع مضيئة بالبرق والرّعد حاليا وأنت تخافين صوت الرعد، والظّلام، لهذا دائما ما تحرصين على ترك الأنوار منيرة بالمنزل.

قرأت كلماته بصوت يكاد يسمع وبخوف أشدّ وازداد عقلها حيرة فلم تعرف ما عليها فعله، ولا من هذا الغريب الذي يعرف كل هذه الأشياء عنها! مدت يديها نحو لوحة المفاتيح وراحت تطبع على أحرفها:

- من أنت، بكل جدّية، من أنت؟!
- هل تريدين أن تعرفي من أنا حقّ؟ا
- نعم.. بالطبع! لم أكن لأسألك لو لم أرغب بذلك!
- يمكنك مناداتي ب "لا أحد".

هزت رأسها باستهزاء، تنهدت، ثم قالت في سرها "بالتأكيد إنّها هي! لا يوجد غيرها لكن لم تفعل هذا!" ثم طبعت قائلة:

- هذا صحيح صدقتك! رناد توقفي عن محاولة إخافتي رجاء فقد أوشكت على تصديقك للحظة.
- أنا لست "رناد"

ارتسمت نظرة الرعب على محيّاها قبل أن يضيف قائلا:

- أريد مساعدة في إكمال لعبتي الجديدة.

لم تفهم مقصوده، أو بالأحرى، فإنّ الرعب الذي سكن جسدها لم يترك لها مجالا لفهم كلامه فكل ما تمكنت من إرساله هو علامة استفهام وحيدة. ليسترسل مضيفا:

- أعلم أنّك ترتدين فستانك الأخضر الآن..

أنزلت عينيها نحو جسدها، فغرت فاها غير مصدقة لما يحدث.

- يمكنني مشاهدتك تفكرين، أنت تسألين نفسك: متى ارتديت الفستان الأخضر؟
- هل أنا محق؟!

شعرت بالحيرة والعجز، وبتوتر شديد يكاد يمزق أحشائها وهمت بالهروب وإطفاء الحاسوب بوجه هذا اللعين لكنها قبل ذلك أرسلت له رسالة إنهاء الموضوع قائلة:

- آسفة ليس لدي فكرة عما تتحدث عنه، يجب علي أن أذهب.

وضعت إصبعها المرتعش على فأرة الحاسوب وراحت توجهه نحو لائحة الويندوز لإطفائه لكنها قبل أن تضغط على الزر وصلتها رسالة منه تقول:

- تذهبين؟ أين؟ إلى الغرفة العلوية؟

زفرت بغضب ممتزج بالخوف، وراحت تطبع له بأصابعها المتوترة التي كان الدم يغلي فيهما حتى كادت أن تكسر لوحة المفاتيح:

- رناد هذا ليس مضحكا على الإطلاق. توقفي عن هذا.
- لا أنصحك بمغادرة غرفتك.. لأني في كل مكان. أجابها.
- رناد، أعلم بأنها ألاعيبك أيتها الغبية، أعلم أنّك تحاولين إخافتي، وأنت تعرفين جيدا كم أكره هذا النوع من المزاح لأنه ليس مضحكا أبدا.

فجأة واتتها فكرة أضفت على نفسها كثيرا من الطمأنينة فقفزت من مكانها بسرعة كبيرة وتوجهت نحو صندوق الطاولة التي بجوارها، فتحته وأخذت تقلّب أشياءه حتى وجدت ما كانت تبحث عنه، استخرجت منه شريطا لاصقا أسود اللون وقامت بقصه بعضة واحدة ثم ألصقته على كاميرا حاسوبها فيما ارتسمت على وجهها ابتسامة ماكرة توحي بانتصار كاد أن يكون، فجأة وصلتها رسالة من المجهول أعادت لوجهها عبوسه وخوفه:

- لمسة ذكية منك يا مايا
- ما رأيك بأن نلعب لعبة.. إرفعي أصابعك عاليا وسأقول لك كم من إصبع شكلته.

قرأت رسالته بعينين تقدحان بالشّرر ثم رفعت إصبعها الأوسط عاليا وأخذت تلوح به نحو الهواء بابتسامة خبيثة حتى وصلتها رسالة منه تقول:

- هذا ليس ما ينبغي أن تفعله سيدة شابة مثلك.

ارتجف قلبها خوفا وراحت تتساءل بينها وبين نفسها كيف أمكنه رؤية حركاتها حتى بعدما قامت بتغطية كاميرا الحاسوب، إلاّ إذا كان يراقبها من زاوية أو مكان ما...

ارتعش جسدها بأكمله من الفكرة فأزاحت الحاسوب من على حجرها ببطء شديد وكأنما تزيح قنبلة موقوتة على وشك الانفجار، وضعته فوق سريرها وانحنت نحو الأرض بسلاسة واضعة خدها الأيمن على الأرض وفتحت عينيها على مصراعيهما لتجد المكان فارغا، لمْ تعرف لم جاءتها فكرة البحث عن الغريب تحت السّرير، كانت فكرة غبية حقا، حدّثت نفسها قائلة.

اقشعر بدنها مجدّدا عندما سمعت إشعار وصول رسالة أخرى، أخذت نفسا عميقا وراحت تقرأ الرسالة بعدما استوت جالسة على سريرها..

- أعجبني تفحصك للسرير يا مايا!
- هل تظنين أن بإمكان شخص ما أن يختبأ في سرير شخص آخر وهو موجود في غرفته؟!

ماذا...ماذا يقصد!

كيف رآني؟!

راحت تطرح السؤال على نفسها مرارا وتكرارا.. مخيف ما تصوره لنا عقولنا من خيالات في مواقف لم نتوقع يوماً أن نقع فيها.

- اسمعيني جيداً يا مايا، لا أريد اذيتك..

قاطعته بقولها:

- ما الذي تريده مني بحق السماء!
- أريدك أن تكوني صديقتي.

استوت واقفة ووضعت يديها على خصرها وعينيها على السقف متأفّفة، مفكّرة في الوقت نفسه تفكر إن كان لهذا الغريب جنون عقلي أو هوس بشيء ما، ووجدت أن من الأنسب في حالات كهذه مسايرة المريض حتى يبرأ.

- يبدو أن مفهوم الصداقة لديك خاطئ.
- لاتحكمي علي من الدقائق التي مرت فأنت لا تعرفين عنّي ولا عن شخصيتي شيئا، لكنني متأكد من أنّك ستحبينها.

"صحيح سأحبها، بل إنني سأعشقها وأصبح مجنونة مثل هذا النذل الذي يرقص على أعصابي" اغمضت عينيها وتنفست عميقا وكأنما هي في جلسة اليوغا. جلست بهدوء وظهرها مستقيم، قالت في سرها "اهدئي كي لا نقع في مصيبة فنحن لا نعلم ماذا سيفعل بعد هذا المخبول الذي يمكنه أن يسمعنا ويرانا ويعرف ما نفكّر فيه".. لا تتفاجؤوا بتحدثها مع نفسها ففي معظم الأوقات، بل في كثير الأوقات لا تجد من يؤنس وحدتها سوى نفسها لذا أصبحت صديقة لذاتها.. "لابد من أنه قام باختراق الحاسوب فلا يوجد شيء أكثر منطقية من هذا الذي يحدث لكن الأهم هو أنه لم يسرق الملفات التي بها كتابي" صمتت قليلا، لكن صوت عقلها قطع عليها حديثها الداخلي الذي كان يعلو "عن أي كتاب تتحدثين بحق السماء إنها مجرد صفحات قصيرة يمكن لفتى بالثامنة من عمره كتابتها" أغمضت عينيها بقوة كمحاولة منها

لقطع الصوت الذي أزعجها ثم قالت بغضب وإصرار "اصمت! اتركني وشأني فهذا ليس وقتك"

- صديقتي أين ذهبت؟

نظرت إلى رسالته ثم قالت "يجب علي التخلص منه بأية طريقة، لا حلّ آخر"

*****

لم يخلق الله هذا العالم عبثا ولا مكان للصدفة فيه، أؤمن أن جميع الأشياء التي وُجدت مخطط لها أن تكون، من أنا؟ وماذا تراني أكون في هذا الكون الفسيح؟ وهل سأحدث فرقاً في العالم بينما يوجد فيه الملايير من الناس غيري؟ أو بالأحرى، من هم أفضل مني! لم هذا الاحتقار الدّائم للنّفس؟ وأنت تعلم بأنّ لك هنالك في الأعماق موهبة ما خفية لا يملكها غيرك.

ورجاء! لا تقل لي أنّك لم تفكر في مثل هذه الفكرة من قبل، طبعا، هنالك منا يفكر لكي يفكر فقط دون أن يتحرك من مكانه، هكذا، مجرد تفكير محض لا غير، فيما قلة قليلة فقط تحركت بنفس وتيرة تفكيرها وبرهنت لنفسها وللعالم أن بإمكان أيّ كان أن يكون ما يريد ان يكون. إن شئت صرت غنيا، وإن شئت صرت مشهورا، لكن، تذكر، أنت فقط من بإمكانه جعل نفسه غنيا، لا أحدا اخر غيرك، ولا تنتظر المعجزات، فقد ولّى زمنها، ولأننا في زمن لا وجود فيه لأسطورة المصباح.

منّا من هو بحاجة إلى دفعة صغيرة للتقدم، دفعة تشجيع، دفعة أمل ضيئلة فقط، وعلى الجانب الآخر نجد من يفني عمره بأكمله بانتظار تلك الدفعة دون أن يحصل عليها، هل ألومه؟ ولو قليلا! ربما، ولأكون صريحة فالخطأ ليس خطأه بالكامل، بل

لكل منا منه نصيب، ها أنت تنتظر، وها أنا كذلك، فلم لا ندفع بعضنا البعض إذاً؟ ألا نستحق أن نعيش جميعاً في سعادة؟ ولا أقصد بالسعادة هنا الغنى والرفاهية، كلا، بل سعادة تحقيق أحلامنا، بما أن لكل منا أحلام وأهداف يسعى إليها جاهدا.

شعوري بالحزن والأسى يكبر يوما بعد يوم اتجاه أولئك الذين استسلموا للحياة وعناءها، ففضلوا أن يستغنوا عن أحلامهم. هكذا، دون أدنى مقاومة. هل يعتقدون أنهم وبأفعالهم هذه يحرزون تقدماً نحو شيء ما؟ إن فكرتم هكذا فأهنئكم، أنتم محقون بالفعل، محقون بكونكم تحرزون تقدماً كبيراً في نشر الكآبة على من هم حولكم! وتزيدون الأوضاع سوءا لحيواتكم فالجميع يهرب منكم لأنكم مصدر الطاقة السلبية، أنتم الآن كفجوة سوداء كبيرة وسط الفضاء تهرب النجوم المشعة منها، وبهذا فقد أحرزتم ذلك التقدم العظيم الذي منحكم الإجابة عن تساؤلاتكم حول الغاية من وجودكم في الحياة، أنتم الآن أمثلة للآخرين، للأفضلية التي رأتكم على هذه الحال فقررت المضي قدماً نحو الأمام، هذا صحيح أنتم الدفعة التي كان الجميع بانتظارها، وللأسف الشديد فإن معظمكم ممن يهرب يكون للآخرين دافعاً للرجوع إلى الوراء، متأثراً بطاقتكم السلبية تلك، أي أنكم تعيدونهم لنقطة الصفر، فيما الواجب ألا يكون أي منكم كالصفر، يضاعف باقي الأعداد بينما يبقى في الهامش.

لا يوجد نهاية، كل ما يوجد هو البداية وهذا ما يجب أن يكون مكتوباً في قاموسك! إن فكرت بهذه الطريقة صدقني ستنجح وإياك أن تخاف لأن الخوف يعني الدخول بمحض الإرادة إلى قفص، ستكون أنت نفسك العصفور السجين فيه، فلتشعر

بالغضب فهو في هذه الحالة أفضل مئة مرة من شعورك بالخوف أو التردد، مثلما خلقت الخوف بعقلك فلتخلق القوة ولتجعل الغضب مصدر قوتك "أنا غاضب" كررها مئات المرات داخل عقلك واشعر بها تمشي في عروقك مع كل قطرة دم تجري بداخلك، اجعلها أقوى كلما حدث شيء يضعفك.

صحيح أن الذكريات تحبطنا أحيانا كونها نقطة الضعف والحلقة الأضعف فينا، لذا تخيل معي جميع ذكرياتك السيئة التي حدثت لك مهما كانت عظيمة السوء استحضرها جميعها ثم قلص من حجمها وتخيله كحبة بيض وحينما تفعل ذلك ضعها تحت قدميك وتنفس بعمق ثم قم بدهسها بكامل قوتك مرة واحدة وأخيرة واسمع صوت انكسارها. لا مزيد من الخوف أو الضعف، ستكون قويا وتتعرف على نفسك الجديدة التي أصبحت أكثر قوة من ذي قبل، لقد خسرت بالفعل كل شيء ولا يوجد ما تخسره الآن فلا تكن خائفاً وردد دائماً بصوت صارم أنك ستكون ما تريده لأن هذه الحياة ساحة معركة عليك أن تكون أنت الفائز فيها دوما.

*****

"والآن علي أن أفوز بمعركتي مع هذا الأبله، عليه أن يغادر حياتي مثلما دخلها، وفورا"

توقفت عن الكتابة وراحت تعيد تمسيد رقبتها التي تشنجت من فرط استغراقها في شاشة الحاسوب، ثم قامت بحفظ جميع الملفات التي تواجدت في حاسوبها داخل القرص الصلب وضغطت على زر مسح جميع البيانات الخاصة منهية المعركة التي دارت بينهما.

حل الليل وانقضى، وأطل نهار يوم جديد أشرقت الشمس فيه وتفتحت بتلات الورود، وأعين مايا التي أمست تصارع كوابيسها طيلة الليل، وككل ليلة سابقة.

ما أجمل النوم وما أروع النيام ولكم تمنيت لو أكون في يوم من الأيام الأميرة النائمة وأصنع قصتي بنفسي كالتي صنعتها الأميرة، لكن قصتي ستكون أجمل من خاصتها فلا وجود لأمير فيها لأني أنا وحدي من سأنقض نفسي من النوم الأبدي، وبطريقتي الخاصة.

قامت من فراشها بصعوبة بالغة، بعدما داهمها صداع مفاجئ، لكنها وبمجرد رؤيتها لصديقها قادما أحست بالارتياح، فاتجهت نحوه قائلة:

- انظروا من عاد!!
- لطالما أخبرتك يا سيد "كوكو البدين" أنك مهما حلقت عاليا وزرت مختلف المدن إلا أن منزلك الحقيقي هنا عندي!

كان صديقها عصفورا من فصيلة "الكناري" وقد اعتادت رفقته الظريفة ومحادثته عن كوابيسها وأحلامها في أن تصبح كاتبة مختلفة والأهم من ذلك أنها لطالما اعتبرته جالبا للحظ.

- أتعلم شيئا يا كوكو، لدي شعور قوي هذه المرة يخبرني أن كل شيء سيصبح أفضل عما قريب، وإن حدث ذلك سأشتري لك الكثير من طعامك المفضل..

أضافت مازحة:

- وربما سأتزوجك لأنك السبب في كل ما هو جميل.

*****

لست بحاجة إلى قوة خارقة لتحقيق أحلامك كل ما تحتاجه هو الإيمان بذاتك.
لدي الكثير لأقوله وأكتبه، الكثير من الأشياء التي ستساعدك أيها القارئ العزيز، مجملها نصائح تعلمتها من تجاربي في الحياة، صدقني أنا أبذل كامل جهدي كي أنتقي الكلمات المناسبة التي عند قراءتك لها لن تشعر بالملل وسأحاول تلخيص جميع المواضيع لأقدمها لك على طبق شهي تغذي به عقلك وذاتك.

توقفت مايا عن الكتابة فجأة بعدما شعرت بوجود أحد ما حولها ودون سابق إنذار سمعت صوتا خافتا يهمس ببرود "سأقتلك" حينها فقط أحست أن الخطر خيّم حولها فأغلقت حاسوبها وجميع أطراف جسدها ترتعش خوفاً ثم قامت بالتحديق نحو الباب وقلبها يدق بجنون، وبعدما استجمعت شجاعتها قالت بارتجاف:

- من هناك؟!!

لكن دون جدوى فلم يجبها أحد وكل ما تواجد حولها كان الهدوء المخيف الذي خيم وسط الغرفة مما زادها رعبا، وفجأة داهمها طنين قوي كاد يثقب طبلتي أذنيها فراحت تمسك رأسها بيديها مغمضة العينين وخيل إليها أن بركاناً من الدماء يخرج منهما وبعد دقائق قليلة، اختفى الألم واستسلمت ملقية بجسدها على سريرها لترتاح، حينها أيقنت أن ما سمعته كان مجرد هلوسات بسبب الصداع الذي واتاها صباحا.

*****

الجنون هو تعريف لتصرفات تكاد تكون غير منطقية لدى الأشخاص العاديين أو الطبيعيين، الطبيعية، ما هو برأيك مفهوم التصرفات الطبيعية لدى الناس؟ دعني أجيبك صديقي؛ التصرف الطبيعي بنظري هو استنساخ للتصنع اخترعه أحمق ما وظن الجميع أن ذاك التصرف هو الحقيقي عكس حقيقتهم التي يخشونها ويتعمدون عدم تقبلها أو التعرف عليها، ومن رأيي أفضل أن أكون مجنونة مختلفة على أن أكون طبيعية مستنسخة كالحمقى! الله خلقنا أحرارا فلم إذا نقيد انفسنا بأشياء تافهة وغبية؟ ما الداعي للتصنع؟ فلنتصرف على طبيعتنا ونفتخر بها بكوننا خلقا عظيما من الله، نحن بشر خلقنا بنفس الأحاسيس بالرغم من اختلاف بعض الأفكار لكن ليست كلها فما زالت أحلامنا متشابهة إلى حد ما، حتى لو اختلف لونها، أنا أشعر مثلك ومثل ذلك الشخص الذي تظنه مثالي مختلفا عن الجميع "فجميعنا نعرف واحداً مثل الذي خطر ببالك" يتملكني الغضب وشعور الحب والكره لأن هذا مغروس في طبيعتي ولا أخجل بنفسي لأننا كلنا سواسية. لدي نظريتي البسيطة التي تقول ان الأشياء التي يتفوه بها كل شخص ويدافع عنها يعني أنه يعاني منها، أي إن رأيت أحدهم يدافع عن حقوق الناس فلتعرف أنه ظالم للناس ولنفسه ومن يدافع عن الاغتصاب فلتهرب منه على الفور قبل أن يقوم باغتصابك! لكن.. لا داعي للقلق فقد كان مجرد مثال بسيط لفهم نظريتي المتواضعة.

*****

أقفلت ملف الكتابة وراحت تحتسي قهوتها علها تدفئ جسدها من برد الشتاء، كان شعورها غريبا بالكتابة على الحاسوب فبعدما قامت بفرمتته أحست أنه جديد بالكامل هي التي اعتادت رؤية صورة الحديقة الملونة على مكتب الجهاز وبالرغم من ذلك إلا أنها لم تفقد تركيزها بالكامل، فالأفكار الكثيرة التي تدور بعقلها جعلتها مصممة على إفراغها بالترتيب من خلال لوحة المفاتيح وساعدتها خفتها في الكتابة بعدم ضياع معظم أفكارها المهمة وبينما راحت تفكر في ذلك المجنون الذي حادثها قبل بضعة أيام تسبب شرودها في إحراق شفتيها الناعمتين فلعنته سراً وابتسمت ابتسامة النصر وسرعان ما اختفت ابتسامتها بسبب تلك الرسالة التي وصلتها..

ما الأخبار؟

أعرف أنك لن تجيبي على اتصالاتي من كثرة انشغالك لهذا وفرت على نفسي وأرسلت لك رسالة أخرى.. لكن ما لا أفهمه هو تجاهلك عمداً لرسائلي.. هل تذكرين الأختان "غرين" وكيف كانت نظرتنا إليهما؟ لم أتخيل يوما أن أشبهنا بهما..

رجاء اتصلي بي وقتما قرأت رسالتي.

أختك التي تحبك.

رناد"

بعدما أنهت مايا قراءة الرسالة أخذت تضحك وتهز رأسها غير مصدقة قائلة بينها وبين نفسها: لا اصدق أنك لم تتعلمي بعد أنني قادرة على معرفة المرسل دون داع لكتابة اسمك في نهاية كل رسالة كما في الرسائل التقليدية..

لاذت بالصمت لبرهة وعيناها ثابتتان على الرسالة وكأنما تسترجع بها ذكرى منسية ثم اضافت: اه الأختان غرين. أذكر ذلك اليوم جيدا عندما حدث المستحيل حيث شاهدنا مشهدا لدهشته توقفنا عن اللعب بالدراجة وقد كانت أغلى ما نملك، كنا وهما في نفس العمر تقريبا.. كانت سلمى احدى الاختان تخرج من منزلها راكضة وتبعتها أختها زهرة بأقصى سرعتها ملقية عليها الشتائم مما جعل كبرياء سلمى يتدخل وهكذا استمرتا بتبادل أقذر السباب ولم تمر دقائق حتى كبرت القصة وفي تلك اللحظة المشحونة بالغضب انحنت سلمى على الأرض والتقطت حجارة كبيرة فرمت بها اختها فأصابتها في رأسها واخذت تبكي من شدة الألم وزاد بكاؤها بعدما رأت الدماء تنزل من جبهتها كقطرات المطر.. طبعا لم نكن نعلم وقتها أن السبب وراء شجارهما الكبير هو قطعة الكعك التي أكلتها سلمى خفية وعندما عرفنا ذلك جعلتني رناد أقسم بألا يتحول حبنا الأخوي الى شجار بسبب الكعك أو أي سبب آخر ولست أدري إن كان السبب الحقيقي وراء جعلي أقسم هو أخوتنا حقا أم أنها خافت ان تتلقى ضربة مؤلمة كالتي تلقتها سلمى حينها.

وحدك يا "كوكو" من لا يسأم من حكاياتي كما أنك تكافئني بالتصفير على كل حكاية أرويها لك.. وقالت مختتمة حديثها.

في وقت لاحق من اليوم عادت مايا إلى البيت مع غروب الشمس وتكاثف الغيوم وقبل أن تخلع معطفها بالكامل لمحت الضوء ينبعث من حاسوبها فاستغربت أشد استغراب وأخذت تقسم لنفسها أنها أطفأته قبل خروجها لكنها لم تأبه بالحادثة فكثيرا ما باتت تنسى معظم الأشياء، أخرجت المثلجات التي اشترتها وراحت

تطعمها لـ "كوكو" قائلة بود: بالرغم من ندر بيعها في الشتاء لكنك تستحق تعبي في حصولي عليها فكلما أسعدتني بصفيرك الجميل أسعد قلبك الصغير بما يتشهيه.

جلست تستريح لبرهة فتذكرت أنها لم تطفئ جهاز الكمبيوتر بعد فقامت من فورها لإطفائه لكن أوقفها شيء وقعت عينيها عليه وقد كان ذاك الشيء ما خشيته..

"أيها اللعين قبحك الله!" شهقت قائلة بدهشة ممتزجة بالغضب العارم..

هاهي الآن في مرحلة لم تكن تتخيل يوما أن تصل لها، كانت صدمتها في تلقيها لرسالة ذلك المجهول ثانية أكبر من أن تستوعبها فظنت أنها تحلم أو علها تهلوس أو أنها تعيش كابوسا مخيفاً في هذه اللحظة لكن خاب ظنها بعدما قرصت نفسها وأحست بألم القرصة.

- مرحبا.. هل تبادلينني الاشتياق؟
- لم لا تجيبي.. مهلا.. أيعقل أنك ظننت بأني ذهبت بلا رجعة؟! اوه! كيف سمحت لنفسك بهذا الظن السيء بي يا مايا! لا لا لا.. يستحيل أن أتركك.

تكورت في سريرها واضعة يدها على خدها تارة وتحت ذقنها تارة أخرى وكأنما تمنع رأسها من الوقوع ولاذت بالصمت طويلا.. وبعدما مرت لحظات من التفكير بإمعان اعتدلت في جلستها وراحت تجيب على رسائله بكل هدوء واتزان.

- أهو المال ما تريده؟ ما غايتك من مراسلتي بينما هناك ألاف ممن يمكنهم مساعدتك غيري.
- وأخيرا رأيت أحرفك! كم اشتقت لكلماتك..

تململت بضيق من حديثه الساخر واكتفت بالصمت دون أن ترد على سخافاته فقال ثانية:

- اه مايا.. مايا.. لم تعرفي قيمة نفسك بعد، فبالرغم من النصائح التي تعطينها للغير إلا أنك لا تستمعين إليها..

"ما الذي يهذي به" تمتمت قائلة بين نفسها فأضاف قبل أن تتاح لها فرصة الرّد عليه:

- كثرة سوء ظنك بي فعلا تجرح مشاعري، هل تظنين أن المال قادر على شراء المتعة بينما يمكنني الاستمتاع بالتلاعب بمشاعرك!

لم تتمكن مايا من كبح انزعاجها من كلمات هذا المجهول الغبي (ة) فراحت تطبع رسالتها بعنف مما جعل صوت لوحة التحكم يسمع من آخر الرواق.

- اسمعني أيها الوغد المتعجرف أو أيتها الحمقاء الغبية لا تظن أن حيلك السخيفة بالدخول لجهازي ستخيفني وتجعلني خاضعة لأوامرك فإن كنت تفكر بهذه الطريقة دعني أعلمك أنك لست حقيرا فقط، بل مخطئ وغبي أيضا!!
- يا ويلي من كان يدري حقيقة لسانك الحاد كالسيف! كيف يعقل لشابة مثلك أن تتفوه بمثل هذا الكلام الجارح!!

جعلها رده المستفز تعض شفتاها غضبا فرأت أنه من العبث التحدث معه فإن رأسه بالنسبة لها فارغ أجوف..

نهضت بهدوء من مكانها وقامت بإغلاق الحاسوب وتوجهت من فورها إلى المطبخ فأحضرت منه المقلاة وراحت تضربه بها حتى سمعت تكسر زجاجه وبالرغم من ذلك إلا أن دمها لم يبرد تماما ولم تجد طريقة أخرى تطفئ نار غليانه إلا أن تقفز فوقه وبالفعل أخذت ترفسه بكامل قوتها وبعد مضي دقائق قليلة سقطت ارضا دامعة ضاحكة مستمتعة بـ "النصر" الذي اخذ منها طاقتها..

وفي الأخير وضعته في المكان الذي ينتمي إليه "القمامة".

***

عادت مايا إلى المنزل متعبة بعدما استيقظت في الصباح الباكر وتوجهت لاقتناء ما تريده من أغراض ومن بينهم الحاسوب وقد سعدت بما فعلته ليلة أمس فبعدما فكرت جيدا رأت أنها ليست بحاجة لأن تحزن على حاسوبها القديم فقد كان بالفعل ممتلئا بالفيروسات والأهم أنها بفعلتها تلك انتزعت الفيروس الكبير "تقصد ذاك المجهول".

فجأة أصبح اليوم ليلاً بعد أن كان مشمسا، بينما كانت مايا تغسل الأطباق المتسخة لليوم أخذت تفكر بوالدها رحمه الله ثم راحت تتوافد الذكريات الجميلة على ذهنها الواحدة تلو الأخرى، ومن بينها تلك التي أخذها فيها إلى حديقة الملاهي وقد كثرت تجولاتهما معا لاسيما عندما كانت في التاسعة من عمرها وارتسمت ابتسامة دافئة على وجهها فهبطت من عينها دمعة ساخنة لم تعرف إذا كان سببها الاشتياق لوالدها الحبيب أم الحزن لغيابه.

استلقت أخيرا مستسلمة لفراشها الدافئ واختبئت تحت الغطاء لتدفئة ما تبقى من جسدها وبعد برهة قصيرة اختطفها النوم لتغوص في أحلامها.

كان الفجر على وشك البزوغ عندما استيقظت مايا على صوت غريب لم تفهم مصدره، مسكت بالمنبه كي تتأكد من الساعة فوجدتها الثالثة ليلا فتحت عيناها بصعوبة كي تتأكد من أنها ليست تحلم وأن ما تسمعه حقيقي، بدا الصوت كأنه من مكان قريب جدا، نهضت من فرشتها واتبعت مصدره فخفق قلبها بقوة عندما علمت أنه داخل المنزل.. تنفست الصعداء واقتربت نحوه أكثر فخرجت من غرفتها ورأت ضوء خافت ينبعث من الغرفة العلوية، تقطر عرق بارد على جبهتها وأحست بقطراته الهابطة مما زادتها توترا فتسمرت مكانها لثوان ثم أشعلت الضوء لتخفف من خوفها وحاولت تهدئة أنفاسها اللاهثة لكن دون جدوى، صعدت الدرج بخطى ثقيلة حذرة وعند بلوغها الطابق العلوي توقفت ثانية وصرخت بصوت حاولت جاهدة أن تبدوا من خلاله واثقة إلا أنه خرج من حنجرتها مرتجفا:

- من هناك؟! هل من أحد هنا!

امسكت بمزلاج الباب فوجدته دافئاً بالرغم من برودة الأرجاء مما زاد من اضطرابها ودفعت الباب ببطء ثم تجولت ببصرها عالياً داخل الغرفة فلم تجد أثر لأي أحد.. فجأة لمحت شيئا صادما جعلها تشهق رعباً.. كانت الدماء متناثرة على أرضية الغرفة وكان صغيرها "كوكو" العصفور مستلقيا على ظهره دون حركة وفي حين اعتادت رؤية ريشه إلا أن هذه المرة باتت ترى أعضائه متناثرة وسط بركة من الدماء القاتمة، كان الجو مخيفاً بما فيه الكفاية ليجعلها تبكي واكتشفت ان الصوت الغريب

الذي أيقظها نابع من معزوفة شهيرة تخرج من مذياع حاسوبها الجديد وعند اقترابها لإيقافه وجدت بداخله رسالة مكتوبة باللون الأحمر وبالخط العريض جاء فيها:

"كثيرا ما تكون أول ضحية للقاتل هي دائما شخصا يعرفه.. فبرأيك هل ستكونين أول ضحية لي يا مايا.. وهل أنا بذلك شخص يعرفك؟"

انفجرت مايا باكية مستثارة من الوضع الذي وضعها القدر به وراحت تصرخ مطولا بأعلى صوتها قائلة "ماذا تريد مني!! لعنك الله!"

حضر رجال الشرطة بعد نصف ساعة من اتصالها بهم وفي دقائق قليلة صار منزلها شبيها بمركز التحقيق، أخذوا منها حاسوبها الجديد لمعاينته وجميع المعلومات التي يحتاجونها عن الحادثة وبالرغم من بقاء "عبد الرحمن" احدى ضباط الشرطة لحمايتها إلا أن خوفها لم يختف بالكامل.

****

رن جرس الباب لتفتحه امرأة يتراوح عمرها بين الثلاثينات ذات بشرة نظرة وشعر أسود كريش الغراب، بابتسامة دافئة استقبلت مايا الى الداخل قائلة:

- أختي العزيزة مر وقت طويل!

استقبلتني رناد بابتسامة مشرقة، ولم استغرب اطلاقا عدم تغيرها فهي من الناس التي تخاف من التجديد، غير أن خطا جديدا من التجاعيد برز على وجهها الدائري الذي تطل منه عينان صافيتان في لون البندق، كان المنزل ذو مدخل وحيد به حديقة صغيرة تسر الناظرين وكانت ألوانه تشبه قوس قزح أما ديكوره الداخلي فلم يكن عصريا بتاتا وهو النوع المفضل لدى رناد، حملت عني حقيبتي ثم امسكت بيدي وأدخلتني غرفة الجلوس، جلسنا لم تترك يدي بعد، لم أنزعج من ذلك إلا أنني احسست نفسي محرجة فلم اعتد على إظهار مشاعري كثيرا وبما أنها تعرف ذلك قامت بسحب يدها بلطف وحتى لو نسيت طباعي لعلها فهمت ذلك من ملامحي.

حنت رناد رأسها يمينا وقالت بابتسامة لطيفة:

- اه كم كبرت اختي الصغيرة!

ضحكت مايا بسخرية وراحت تقول بينما تزيح بيدها شعرها المجعد الذي تهدل فوق عينيها:

- من يسمعك يظن أننا لم نرى بعضنا منذ سنوات.

ردت عليها بغيظ وعصبية:

- سامحك الله أتظنين أن تسعة أشهر فترة قصيرة!
- اهدئي من فضلك، كنت أمزح، لا داعي لكل هذا الانفعال.

لتصفية الجو من التوتر الذي انتشر فجأة قالت مايا متسائلة:

- كيف الحال مع مهدي هل كل شيء بخير معكما؟

صمتت صمتا عميقا قالت بعده:

- بصراحة لست أدري.. لم يتغير أي شيء مازلنا نحاول الإنجاب لكن بدون أي تطورات.

قبل أن تتاح الفرصة لمايا بالرد أضافت قائلة:

- حاولت إقناعه مرات عديدة بفكرة التلقيح الاصطناعي لكنه رفض الفكرة بقسوة وعناد حتى إنه لم يرغب بالاستماع لها وأيضا..

صمتت قليلا ثم أكملت..

- الأصعب من عناده هو إيجاد الأم الحاضنة للطفل لأنه مكلف وغير ذلك لا أعتقد أن هناك من تقبل بإهداء مولودها بعد حملها تسعة أشهر له في رحمها.

كانت أعين مايا شاردة على يدي رناد المرتجفة ولاحظت أن بعض الأصابع في يدها اليمنى بدت وكأنها خلقت دون أظافر وتذكرت عادة أختها في قضمها لأظافرها عندما يأكلها التوتر والقلق وعلمت أن ما تمر به من ضغوطات يفوق التحمل خصوصا أنها أفرجت عن مشاكلها بهذه السرعة فأحست بشفقة كبيرة تجاهها..

تعكر صفو الهدوء المخيم على الغرفة فنطقت رناد قائلة:

- دعك من كل هذا وانتظري لحظة فقد أحضرت لك هدية بسيطة.

بقيت مايا تنتظر في ترقب بينما توجهت أختها إلى المطبخ وفي ثوان خرجت منه بسرور ممسكة بصينية ذهبية مزينة بالكعك.

- عندما أخبرتني أنك قادمة استيقظت باكرا وأعددت لك من الكعك المفضل لديك.

قالت مايا بدهشة يملؤها الفرح:

- اووه كم اشتقت للدونت خاصتك!

عندما اقتربت مايا لتذوقها كانت قوالب الدونت ملونة بألوان مزدوجة إلا قالب واحد فقط اختلف لونه، التقطته رناد وقدمته لها بابتسامة دافئة فراحت تتلذذ بتذوقها لقشدته الطرية التي راحت تبرز كلما ضغطت عليها فانبهرت من كونها ما زالت تجيد صنعه كما في السابق وأخذت تقول بسعادة عارمة:

- أشكرك على تعبك عزيزتي، ما يزال ذوقه يسحرني كما في السابق.

سعدت رناد بما سمعته وردت قائلة:

- بمناسبة ذكرك للسحر انتظري حتى تري غرفة نومك!

أثار ما قالته استغراب مايا فحملقت بها والتساؤل يعتلي ملامحها فنهضت رناد من مكانها وقالت بحماس:

- لا يمكنني الانتظار أكثر! انهضي اريد ان أريك إياها.

نفضت يديها ثم تبعتها إلى آخر الرواق حيث توجد الغرفة، وبالفعل كانت ساحرة فقد احتوت على جميع ذكريات مايا المتكونة من ألعاب طفولتها وبعض من الأزياء التي كانت تفخر بارتدائها عندما كانت صغيرة وحتى مذكراتها، بالرغم من السقف المنخفض للغرفة والتي ليس لها نوافذ إلا أنها خطفت قلبها.

- من أين أتيت بهم، أقصد، كيف! لا يعقل!!

دون تردد أجابت رناد وكأنها كانت تنتظر أن تطرح عليها هذا السؤال كافتتاحية لموضوع معين:

- طبعا، أحضرتهم من منزلنا ولم يكن إحضارهم بالسهل علي، فأنت تعرفين طباع أمي العنيدة.

راحت مايا تقلب أشياءها وكأنها لم تسمع ما قالته أختها أو علها تجاهلته وكانت كلما لمست شيئا من أشيائها تبادر بانفعال حماسي "أتذكرين متى ارتديت هذا؟ و متى تحصلت على هذا!" وكانت رناد تجيب بحماس أكبر منها "بالطبع كيف يعقل أن أنسى!" فجأة توقفت عند منتصف الأشياء حيث أمسكت بقطعة من الدمى سرقت منها بسمتها وجعلت بدلها دموع ساخنة تنزل لتبلل شفاهها فشعرت بدغدغة أفاقتها من شرودها فاستدارت نحو رناد وقالت:

- ماذا عن هذه.. هل تذكرينها؟ عندما أهداها لي والدنا في عيد مولدي الثامن.

تسمرت رناد مكانها دون حركة واخذت تنظر لأختها وللدمية بدون أن تبدي أي ردة فعل وكأنها تسترجع ذكرى قديمة وفجأة شهقت باكية بهستيرية غريبة فأخذت تمسك بفمها كي تجعله يوقف دموعها وكأنها نسيت أن مصدر الدموع هو العينين لا فمها، وماهي إلا لحظة حتى أوقفت دموعها واستعادت قدرتها على الكلام:

- مايو.. عزيزتي..

ابتسمت مايا عند سماعها اسم الدلع الذي أطلقته عليها أختها منذ صغرها ثم اقتربت منها لتتمكن من قول ما تريد فأكملت رناد قائلة:

- اعلمي يا عزيزتي أنه يمكنك البقاء معي لأي وقت تريدين فهذا يعتبر منزلك أيضا.

انصرفت رناد بعدما اختتمت حديثها واكتفت مايا بهز رأسها إيجاباً دون أن تتفوه بكلمة وراحت عيناها تتجولان داخل الغرفة..

مر الوقت وأشارت عقارب الساعة إلى السادسة مساء، فتحت مايا عينيها وتساءلت طويلا كم من الوقت مر على نومها مع أنها لم تكن نعسة ففكرت في أنه الإرهاق ما تسبب في غفوتها، أمسكت برأسها فجأة بعدما داهمها الصداع من جديد وأحست بإعياء كبير ينهش جسدها فقررت الانتقال للمطبخ لتشرب كأسا باردا من الماء عله ينشطها وفجأة رن هاتفها فالتقطته متحدثة:

- الو.. من معي؟
- أهلا، الانسة مايا، معك المفتش أدهم لقد اتصلت لأطلب منك الحضور إلى مركزنا.

صمتت للحظة ثم سألته باستغراب:

- أهلا سيد أدهم.. لكن لم الحضور؟ هل من خطب؟
- بصراحة لا أعرف ما أقول.. مع الأسف لم نتمكن من العثور على أي شيء في حاسوبك لذا عليك الحضور لأخذه.

بعدما ارتسمت على ملامحها أمارات الخيبة ونهشها شعور الإحباط قالت مسترسلة:

- اه.. حقا.. لكنني حاليا خارج المدينة سأمر لأخذه غدا.
- بالطبع متى ما شئت لكن..

صمت المفتش للحظة وقد بدا أنه سيقول شيئا مهما فسألته بحدة:

- لكن ماذا؟ أكمل من فضلك!

- لاحظنا أن الشخص الذي دخل إلى بيتك آنستي لم يقم بتخريب أي شيء سوى.. آسف لخسارتك.. سوى الضحية العصفور.. لكن ما أقصده هو..

لم تتمكن من الصبر فقاطعته بانفعال:

- رجاء سيد أدهم ادخل في صلب الموضوع!
- انظري لا أريد أن أشغل بالك لكن من الواضح أن القاتل شخص يعرفك جيدا فقد وجدنا أن الباب لم يتم تعنيفه، بل فُتح ببساطة بواسطة المفتاح.. هل أنت متأكدة أنك الوحيدة التي تمتلكه؟

حملقت مايا في الفراغ باستغراب وأجابته مضطربة وبتلعثم:

- بالطبع لا يوجد غيري من لديه نسخة منه.. سوى السيد مصطفى الذي آجّر لي البيت لكنه خارج البلد.. هل يعقل أن..

قاطعها قائلا:

- لا، غير ممكن! فقد أخذنا إفادة ابنه المدعو مراد وقال ان والده ما يزال خارج البلد ولا يمتلك أدنى فكرة عما حدث معك.

أقفلت الخط بعدما أنهت المكالمة وحينها أدركت أنها في دوامة غامضة لا تعرف الخروج منها سوى بالصبر والترقب لما يمكنه أن يحدث لاحقا فما قاله لها تركها في بحر من الدهشة والحيرة، تحرك مقبض الباب للأسفل لينفتح وطلت منه

رناد فطلبت منها مشاركتها العشاء قبل أن يبرد ودون أن تبين لها حيرتها رافقتها مايا..

في ساعات الليل المتأخر كانت مايا مستلقية شاردة بأفكارها فيما حدث معها من أشياء وأحست أنّ جسدها مرهق بشكل غريب وفي تلك اللحظة دخلت شقيقتها ممسكة بيديها وسادة قطنية وبابتسامة خجولة قالت:

- يا ترى هل تسمح لي أختي الصغيرة مايو بالانضمام إليها؟

هزت مايا بابتسامة رأسها موافقة فقفزت رناد فوق السرير غير مصدقة بالرغم من معرفتها مسبقا بموافقتها وراحت تقص عليها اخبارها وبعض الحوادث المضحكة التي حصلت معها وعن جارتها صفية التي تحب حشر أنفها في ما لا يعنيها ونشر الشائعات في الحي لإضفاء جو من الإثارة والمتعة واستمرت رناد تروي دون كلل وتقلد صوت جارتها المزعجة تارة وتضحك عليها تارة أخرى وللحظة توقفت قائلة:

- لم تصمتين..

ضربت رأسها بخفة ثم أكملت قائلة:

- اه مهلا لحظة.. تصمتين الصمت الذي أعرفه جيدا لا بد أنني أشعرتك بالملل.

استفاقت مايا من شرودها وراحت تقول مبررة وتحاول بكامل جهدها ألا تبيّن لأختها قلقها:

- لا! كلا.. أبدا، فقط ركزت على سماع صوتك والاستمتاع به أكثر من الحكاية نفسها.. علي الاعتراف أنني اشتقت لك كثيرا.

سعدت رناد لما سمعته فنادرا ما تبين أختها عن مشاعرها وقدرت كثيرا ذلك فبدا نابعاً من القلب، وبينما كان الفضول يدفعها لتعرف ما الذي جعلها تزورها بعد هذه المدة استغلت الموقف الدافئ وقالت متسائلة:

- اسمعي.. بصراحة كافحت فضولي كثيرا ولم أستطع كبحه أكثر.. لذا أتساءل، يا ترى؟ إذا حدث شيء ما جعلك..

لاحظت مايا أن أختها تعصر نفسها كما تعصر الملابس حتى تخرج ما ببالها بأفضل ما يمكن كي لا تُفهم بشكل خاطئ وأرادت أن تساعدها للتخفيف من قلقها فقاطعتها بلطف مجيبة بعدما أمسكت بيدها:

- لا تقلقي لم يحدث معي شيء فقط رأيت الالحاح في رسائلك التي طالما ساندتني وارتأيت أنني اشتقت لتواجدي معك.

طال صمت رناد فعلمت أن نار فضولها لم تنطفئ بعد فأخذت مايا تمزح قائلة:

- بسم الله.. أنقذني يا ربي تبدين وكأنك تخفين قنبلة داخل فمك!

فأجابتها رناد وقد بدت في وجهها علامات الاستياء العميق:

- سايريني، فأنا أحاول بكامل جهدي ألا أقول شيئا يعكر صفوك لكن..

في تلك اللحظة تبدلت ملامح مايا إلى الجدية وكأنها قرأت توترها وعلمت بما ستقوله لها أختها وهذا ما كانت تحاول تجنبه منذ غادرت قبل تسع أشهر من الان،

أرادت أن توقف رناد عما ستقوله لكن كلماتها توقفت في حلقها وكأنها شفرات حادة تحاول تمزيقها فاستغلت رناد صمت اختها وألقت السؤال الذي خشيت من طرحه وخافت مايا منذ مجيئها من سماعه:

- هل.. هل مازلت لا تريدين مقابلة أمنا؟

لم تقو مايا على الكلام وأخذ السؤال يدور صداه في عقلها وأحسّت ببرد يصعد من أسفل قدميها فخيل لها أن دمها تجمد فلطالما خافت من هذه اللحظة وكما نعرف جميعنا أن الخوف قادر على أن يفعل بنا ما لا يفعله المستحيل.. حتى تجميد الدم!

شعرت مايا بالضيق وردت بعصبية قائلة:

- ألم تجدي ما تقولينه غير هذا الكلام؟! غير هذا السؤال!!
- حسنا لا تغضبي وأعدك بعدم فتح الموضوع بهذه الطريقة مرة أخرى..

قاطعتها بصوت حاد قائلة:

- لا تفتحيه معي ثانية.. لا بهذه الطريقة ولا بغيرها!
- حاضر ولكن..
- ما من لكن هنا!

سادت لحظة صمت طويلة التقطت رناد خلالها نفساً عميقا ثم ابتسمت وهي تحاول إخفاء الألم من صوتها ومسحت بيدها على شعر مايا قائلة:

- عزيزتي لا ترهقي نفسك أكثر ونامي لترتاحي.. لا تعلمين كم سعدت بمجيئك.

امسكت مايا بيد أختها قبل مغادرتها ولأنها تعرف نيتها الطيبة لم تشأ في تركها تذهب للنوم وهي محبطة فسألتها قائلة:

- ماذا عن مهدي، ألم يأت بعد؟
- لا.. لا بد أنه سيتأخر اليوم أيضا..

أكملت بابتسامة ساخرة:

- لابد أنها "ضغوطات العمل".

فاجأ النعاس مايا وكان يتضاعف مع كل ثانية وكلما تضاعف نعاسها أحست وكأنها تسمع صوتا ما.. وكأن هناك من يناديها في الظلام.. لم تمض خمس دقائق حتى نامت بعدما لم تقدر على مقاومة سحر النوم الذي استحوذ عليها.

*****

هل الأرض مسطحة أم كروية الشكل؟

بعض الاشخاص يعيشون روتينا كالجحيم يحجب عنهم الرؤية الصحيحة للأشياء ولأنفسهم وذلك الروتين جعل عقولهم تختفي تدريجيا لتتكون فجوة فارغة داخل رؤوسهم فتكون تلك الفجوة بادية أعينهم وأحيانا يمكنك التنبؤ بها من حديثهم فلم يعد لديهم شيء يفعلونه سوى المجادلة حول أتفه الأشياء كشكل الأرض بينما لو أنهم استخدموا عقولهم لتغيير ذلك الروتين لاكتشفوا معلومات حقيقية عن

ذواتهم ذات إفادة كبيرة وحينها فقط يمكنهم الاجابة عن أسئلتهم دون داع للجدال حولها وتعديلا على ما قاله سقراط "الإجابة ليست في جيبي".

*****

استيقظت في الصباح ولم أدرك أين أنا في بادئ الأمر فجلست بهدوء محاولة استيعاب مكان تواجدي فأخذت أسترجع ما حدث أمس وتنفست الصعداء فقد خيّل لي للوهلة الأولى أنني مختطفة، خصوصا بعدما راودني نفس الكابوس الذي كان يمنعني من النوم طيلة أشهر، لطالما أحسست أنني غريبة لكن لم أدرك يوما أن الغرابة معدية فقد انتقلت حتى لكوابيسي، أن أكون سجينة داخل نفس القبو المظلم ويتكرر الكابوس ذاته لأشهر عديدة جعل ذلك مخيلتي تطير نحو الأفق وهمسات تخبرني أنني كنت في حياتي السابقة الأميرة رابونزل ثم عشت مرة ثانية بفضل فرصة تلقيتها كهدية بعدما أحسنت التصرف في عالم البرزخ إلا أنني عدت الى الحياة في جسد بشرية، مقيدة من فعل ما يحلو لها عكس ما كنت عليه في عالمي الكرتوني..

بعدما طردت أفكاري الساذجة أحسست برغبة قوية في احتساء القهوة لأطرد بها الصداع الذي يلازمني منذ أمس فتوجهت نحو المطبخ لأجد أختي وزوجها يدردشان مع بعض وأول ما لمحته كان البخار الذي يدل على دفئ فنجان القهوة الذي يحتسيه مهدي فعلمت حينها أن رائحتها من جذبتني ولو لم يقف ليرحب بي لبقيت تائهة في شعوري للتوق الكبير لارتشاف رشفة منها.

- صباح الخير مايا يا لها من مفاجأة سارة.. أسعدتنا بمجيئك.

- صباح النور، شكرا، أسعدك الله! سررت برؤيتك أيضا.

كان مهدي أكبر من أختي بحوالي سبع سنوات وقد تعارفا عندما كانت تدرس في الجامعة حيث كان هوسها بدراسة علم النفس كبيرا، لمهدي لحية خفيفة ووزن زائد بعض الشيء مع كرش في بطنه ساعده قصر قامته على إبرازها أكثر وفي بداية علاقتهما كانت صدمتي قوية ليس بسبب شكله فلا يعاب أحد على خلقه، بل لأن رناد اعتادت مخالطة الوسيمين وبعد بعض الوقت علمت أنها وقعت في حبه لهذا أعماها عشقها عن رؤية شكله الخارجي إلا أنني لم أفهمها فلم أجرب يوم هذا العشق الذي يعمي الناس عن رؤية الحقيقة.

طلبت من رناد أن تحييني بفنجان من القهوة فقالت إنها انتهت فشعرت أنني أضعت ترياق الحياة من بين يدي وفي لحظتها عرض علي مهدي فنجانه الذي تبقى منه أقل من رشفة فرفضت بأدب شاكرة إياه على عرضه فربتت رناد على كتفي وطلبت مني الجلوس لشرب النعناع الذي أعدته لي مسبقا وراحت تذكرني بأفعالي الطفولية عندما كنت أغمس الخبز بداخله مستمتعة بطعمه المبلل...

عند التاسعة جهزت نفسي للذهاب إلى مركز الشرطة فعرض علي مهدي التوصيلة وخلال الطريق مضى يدندن بأغنية قديمة لم أتبينها وحينما سألني عن وجهتي كان خلالها ينظر نحوي أما أنا فكنت مولية اهتمامي إلى الطريق، حينها طلبت منه أن يضعني عند محطة الحافلات لأكمل طريقي وحدي متجنبة النظر في عينيه كي لا يكشف توتري وعلى الرغم من إصراره إلا أن عنادي كان أقوى فغلبته في النقاش

دون أن أجعله يرتاب من أمري، ركبت الحافلة التي تحمل عددا قليلا من الناس ونجحت في الجلوس بجانب النافذة منفردة بمقعدي وجلّ تفكيري منصب حول المجهول اللعين الذي شتت مسار حياتي، فجأة تسمرت عيناي على شخص غريب يقف وسط الشارع لم المح وجهه وخيل لي أنه ينظر نحوي، ازداد توهج الشمس وضُعف ضوءها فحجبت عني الرؤية ورحت أتمتم كيف يمكن للقدر أن يسخر منا وقتما شاء، تحدثت عن عمى العشق فأعمت الشمس عيني.

في المقعد الأخير كانت هناك أعين لطيفة تفترسني وبالقرب منه رأيت امرأة تعلو ملامح الطيبة وجهها تتحدث بصوت غير مسموع على الهاتف، كانت العينان لطفل ظريف ذي السبع سنوات من عمره، أضحكتني طريقته البريئة في مراقبتي فقد كان ينظر نحوي في كل فرصة أدرت فيها عيناي عنه وبعدما استجمع شجاعته أخذ يسير ببطء نحوي وهو ينظر لي، عندما وصل وقف بجواري ثم أخذ يتأمل برتقالته التي كان يمسك بها وبقيت والدته تراقبه بحرص وكأنما بقلبها وليس بأعينها فقط، كان الطفل لطيف الشكل ذا أعين جميلة ملونة نطق قائلا:

- هل تعرفين أن هناك عوالم مختلفة تشبه عالمنا داخل الفواكه فيها مدن وشوارع وحدائق متنوعة...

صمت قليلا ثم أضاف:

- حتى أن عندهم مثلنا يعني يحسون بالألم ويشعروا بالجوع.

لم أعرف بما أجيبه أو كيف أتجاوب معه هل أبتسم أم أضحك؟ لكن ملامحه تحمل جدية كبيرة! حملقت به كالبلهاء دون أن أتفوه بكلمة فأضاف قائلا:

- عندما أخبرت ماما لم تصدقني لكنني أحيانا أسمعهم يتحدثون معي.
- حقا! ماذا يقولون لك؟!

صمت ثانية ثم حدق ببرتقالته وقال:

- مثلا... هذه الواحدة تتوسلني كي لا آكلها.

أومأت برأسي، مدعية فهمه وقلت:

- فهمت... أخبرني ما اسمك؟
- اسمي مصعب.
- إذا، مصعب، ماذا قررت؟ هل ستأكلها أم تبقى محتفظا بها إلى أن تذبل وتموت؟

هز مصعب أكتافه بحيرة دون أن يزيح نظره عنها، راقبته وهو يفكر بعمق وكأنه على وشك أن يخوض قرار يغير مجرى حياته فأضحكني ذلك دون أن أبين له، ثم تنحنحت وقلت واثقة:

- اصغ إلي... لدي اقتراح سهل سيسرك.

رفع عينيه ببريق لامع يدل على الفرحة والترقب فأحسست وكأنني على وشك أن أمدّ إليه حبل نجاة ينقذه من الغرق فقلت مضيفة:

- عليك بأكلها وبعدما تنتهي من ذلك قم بزرع بذورها فهي من تعطيها الحياة... وعندها ستنبت لك واحدة جديدة مصطحبة معها رفيقاتها وجميع القبيلة!

راقبته وهو يفكر بإمعان في الحل الذي قدمته له، أخيرا اتفق معي في الرأي بابتسامة لطيفة وفي تلك اللحظة تقدمت والدته نحونا ثم أمسكت بيده وقالت:

- مصعب هل أخبرت الآنسة أن اليوم يكون عيد مولدك.

ابتهج قلبي لمعرفة ذلك وابتسمت معه ثم طبعت على خده قبلة وقلت:

- عيد ميلاد سعيد يا مصعب أتمنى لك وللفواكه حياة سعيدة طويلة... آسفة ليس لدي هدية لذا استبدلتها بالقبلة.

ضحكت والدته على الرغم من أنها لم تفهم كثيرا قصدي وابتسمت معي شاكرة على القبلة بينما اغتنم مصعب الفرصة وقام بمسح قبلتي بكف يديه فوجدت ذلك عفويا من قبله وبعد وقت قصير توقفت الحافلة وما أن هممت لأهبط منها حتى صادفتني شابة لم ألمح منها إلا بياض بشرتها وإذ بها تقفز نحوي لمعانقتي بكامل قوتها مما أثار ذلك استغرابي فابتعدت عنها بخطوات مذهولة مما يحدث لتنطق بابتسامة بشوشة قائلة:

- اشتقت لك كثيرا أين اختفيت ظننتك خارج المدينة!

بابتسامة حرجة أجبتها قائلة:

- آسفة اعتقد أنك تخلطين بيني وبين شخص آخر.

نزلت من الحافلة مودعة الفتى الشقي فلطالما صادفت أناس يشبهون من أعرفهم لذا لم أرد أن أزيد من إحراجها...

لم يبعد المركز كثيرا عن موقف الحافلات فبعد بضعة أمتار وجدت نفسي أقف بالقرب منه، سمعت بالداخل ضوضاء كثيرة، شأنه شأن غيره من مراكز الشرطة، لم ألبث كثيرا حتى أحضرت الحاسوب خاصتي وعدت أدراجي لأجد رناد بانتظاري على مائدة الغداء، أكلت القليل ثم ادعيت الشبع، فاشتياقي للكتابة كان أقوى من جوعي، أسرعت لغرفتي ورحت انتظر اشتغال الحاسوب بشوق ولحسن الحظ لم أجد حينها مجسم الدردشة لذاك المجهول وكأنه ساحر يتحكم بي كما يشاء، يعرف متى يظهر ومتى يختفي، استويت جالسة بارتياح ورحت أصفي أفكاري كعادتي على لوحة المفاتيح التي لم تشْك يوما من حديثي على الرغم من ضغطي المستمر عليها... وما زلت أستغرب كيف يعقل للكثير من الأشياء أن تكون أحسن من البشر!

*****

لكل شخص طريقته في تحقيق نجاحه الخاص.

في بعض البلدان كل شيء سهل كالشهرة، المال، الحب! حتى أنها تتحقق دون دراسة ودون بذل أي مجهود! كل ما عليك فعله هو أن تكون أحمق وتافها.

تعلمت أن النجاح هو الذي يأتي إليك فقط عندما تؤمن به ولا يهم المكان الذي تتواجد فيه لذا لا تضع الحجج على بلدك أو الأشخاص الذين يعيشون فيه ويؤسفني أخبارك أن نجاح الأذكياء يكون صعبا في بلد يشجع الحمقى ويظلم المتفانين في عملهم.

*****

دقت رناد الباب، أذنت لها بالدخول، لم أدرك كمْ من الوقت مر وأنا على تلك الوضعية ولم أستغرب ذلك فلطالما سرقتني الكتابة من عالمي إلى آخر أجمل منه، أمسكت بالشاي الدافئ الذي جلبته وقبل أن أشربه راحت ترمقني بنظرات حادة، بادلتها النظرات فقالت:

- أخبرني مهدي أنك لم تسمحي له بأن يوصلك إلى وجهتك... صحيح إلى أين ذهبت؟
- كان لدي عمل بسيط ذهبت لإنجازه، الأمر لا يستحق.

ضحكت بسخرية لتلطيف الجو وأضفت:

- آه... وغير صحيح أنني "لم أسمح له بإيصالي" فقط أردت استنشاق بعض الهواء فقد كان طقس الصباح لطيفا.

لم أشعر بمرور الوقت، ولم يعكر صفو متعتي بالكتابة سوى شعوري بالجوع فاتجهت إلى المطبخ بخطوات هادئة ودون ضجيج يوقظ النائم وما لبثت أن انتهيت من طعامي حتى عدت أدراجي، كان ضوء خافت ينبعث من غرفة النوم الخاصة بشقيقتي وزوجها فسمعت دون قصد همسات خفية مما شد ذلك فضولي فاقتربت قليلا وأطلت السمع لأتنبه لبعض الكلمات المريبة كـ "لم تركتها" و "عليها ألا تدرك ما يحدث... يجب أن نخفي ذلك جيدا" جمدت لثانية ثم أطلت من عيناي نظرات شك مخيفة واعتراني شعور غريب يحفر في تجويف معدتي وقلت وأنا أهز رأسي:

- عمن يتحدثان يا ترى... إنه لأمر غريب حقا.

عدت للغرفة وقررت ترك الوقت يكشف لي ما يجري، في تلك اللحظة تملكني الفزع حين رن الحاسوب معلناً عن استقباله رسالة ما، ابتلعت ريقي بصعوبة وتنفست بعمق قبل أن أطل عليها وما إن وضعت عيني على محتواها حتى زادت دقات قلبي في الخفقان.

عاد يراسلني مجددا ذاك النذل المريع ولا يمكنني ردعه لا أنا ولا الشرطة ولم يتبق لي حل آخر للتخلص منه سوى التحدث معه ومعرفة مبتغاه الحقيقي.

ماذا تريد؟

- أريد أن أكون سعيداً وأن أحظى بحياة بسيطة تخلو من القيود.
- لا أسألك عن أحلامك بل ما الذي تريده مني بحق السماء!

تنهدت عميقاً ثم أضفت:

- حقا أهنئك فلم أر أحدا بمثل حقارتك!
- آوه كنت أعلم منذ البداية أننا نتبادل الاشتياق... وبالنسبة للعصفور فقد كان ريشه رطبا قبل أن يغرق في دمائه ويصبح خشنا من كثرة الدماء عليه.

راح يسخر دون شفقة وازداد شعوري بالعجز كلما خطرت ببالي صورة "كوكو" المسكين وهو ممدد على الأرض غير قادر على الحركة، وبدأ دمي يزداد في الغليان مع كل كلمة يقولها فرحت أمطره بوابل من الشتائم والملامة.

- إنك مختل عقلياً، ماذا فعل لك عصفورا صغير لا ذنب له! أو بالأحرى ماذا فعلت لك؟ ما ذنبي!!

- صحيح، لا ذنب له... أو لكما! لكني غرت عندما وجدتك تبادلينه الحكايات بينما تتجاهلين رسائلي وهذا أكثر ما أكرهه... التجاهل!
- كيف علمت كل هذا بل كيف تعرفني وتعرف عني أكثر مما أعرفه عن نفسي!
- اهدئي أولاً كي نتمكن من الدردشة بعصبية أقل ورومانسية أكبر. لكن قبل أن نبدأ في ذلك أردت أن اعترف لك بشيء.

اكتفيت بالانتظار والترقب وأنا منهارة نفسياً ولم أدرِ أنه يمكنني الوصول لهذا الحد من الانهيار، لكنني تأكدت من ذلك بعد قراءتي لما أضافه.

- راهنت نفسي من قبل أن صرختك جميلة مثل ملامحك وقد فزت بالرهان.

أصابني كلامه بفزع رهيب وخوف لم أشهده من قبل فقد ظننت للحظة أنها ستكون النهاية فقد فهمت قصده جيداً فقلت متسائلة بدهشة:

- ماذا... هل كنت هناك تلك الليلة!

ضحك بسخرية مجيبا:

- بالطبع! أنا في كل مكان.

يا إلهي كيف لم يخطر ببالي حينها أن أبحث عنه في...

يا ترى هل كان مختبئاً داخل المنزل أم أنه كان متخفيا بين رجال الشرطة... راح عقلي يمطر بالأسئلة التي لم أملك لها أية أجوبة فاضطربت واضطرب قلبي، وهالتني الصدمة مما حدث حتى مرت ثوان استجمعت فيها أنفاسي. ثم قلت:

- لكن ما الجدوى من كل ما تفعله بما أنه لديك قدرات كهذه... التنكر والظهور حيثما تريد... لم لا تستغلها لصالحك لأنه صدقني لن تنال مني شيئا لست مفيدة لك لتلك الدرجة!
- مايا... مايا... أنت تفطرين قلبي، صدقا! كلما قلت معرفتك بقدرات نفسك يزداد استمتاعي باللعب معك.
- اسمعني جيدا أيها المجنون هذه ليست لعبة، فحينما تصل للدرجة التي تقتل فيها روحاً بريئة لن يبقى هناك مجال للّعب، إلى أين تنوي الوصول؟ هل ستقتلني لاحقاً أم أنك ستقوم باستعراض آخر لتخيفني!
- استعراضا، تهريجا، يمكنك تسميته بأي شيء يريحك عزيزتي... كما أنني أعرف جيدا أين أنت الآن...

سرت في بدني رجفة من هول ما قرأت ورحت أتساءل بيني وبين نفسي "هل يعقل أن يكون داخل المنزل... أيعقل أنه وجدني... هل هو هنا هل ستكون شقيقتي ضحيته التالية!"

خطوت خطوتان نحو الباب بعدما قمت من على السرير وبحذر شديد فتحته لأطل فلم أجد شيئا سوى الظلام الحالك الذي يغرق الإنسان داخله وعلى الرغم من دفء المكان إلا أنني أحسست ببرودة تسري في جسدي وعندما التفت لأغلقه أعترضه شيئا ما بقوة فتسمرت مكاني ودق قلبي بعنف، أغمضت عيني واستدرت بسرعة لأرى ما صده وحينما فتحتهما فوجئت بمهدي موجهاً ضوء هاتفه على وجهه

ويضحك بغرابة مخيفة، غاب عني الأوكسجين وضاق نفسي وشهقت لحظتها شهقة كادت توقظ الأموات من مساكنهم...

*****

كان وجهها شاحباً مصفراً وقد جفت شفتاها اللتان تحركتا بصعوبة:

- مهدي!

وقفت منتصبة دون أن تحمل ملامحها أدنى أثر للتوتر إلا لمحة من بعض الريبة أطلت من عينيها.

- آه منك... لقد أخفتني، للحظة ظننت أنك...

لاذت بالصمت بعدما أدركت ما تقوله فأجابها بسخرية:

- أكملي... "لقد ظننت أنني..." ماذا؟ شبح؟!

أمالت رأسها نحو الخلف دون أن تدري بما تجيب وقالت مغيرة الموضوع:

- أتدري أنك أخفتني بهذا المزاح؟!
- عدت بعدما أطفأت سيجارتي الأخيرة فوجدتك بالصدفة واقفة هنا كالأشباح... ولو أردت الحقيقة أنا الذي خفت منك لحظتها وليس العكس!

هرعت داخل غرفتها وتنفست بعمق ثم توجهت إلى حاسوبها لتقرأ ما أرسِل إليها فارتاحت بعدما قرأت ما قاله "لا أحد":

- أعرف بأنك قمت بتغيير المنزل لكنها مسألة وقت حتى أجد مكانك.

أخذت تضحك ساخرة من نفسها كالبلهاء وقالت بينها وبين نفسها "كيف صدقت أنه قادر على التواجد بهذا المنزل... آه يا لحماقتي!"... قبل أن تطفئ جهازها وصلتها رسالة أخرى تقول:

- ربما ما نحن إلا الوحوش التي تختبئ تحت السرير!

قاطعته بشيء من فظاظة وسخرية في آن واحد محاولة إفهامه أن لعبته لن تنطلي عليها هذه المرة فقالت:

- لا تنسى أن تفرش النيلون قبل أن تخلد للنوم كي لا تضطر والدتك لغسل شرشفك كما تفعل كل صباح!

وقد قصدت بذلك إهانته وخلدت للنوم بعدما أرسلت الرسالة وانجرفت في نوم عميق...

استيقظت في صباح اليوم التالي تشعر أنها متعبة جدا كما لو لم تنم إطلاقاً وقبل أن تغسل وجهها قررت شرب القهوة المرة فتوجهت مباشرة إلى المطبخ لتجد مهدي يجلس في مكانه المعتاد يتناول فطوره الصباحي، ما إن رآها حتى أخذ يضحك بهستيرية مشيراً بإصبعه نحوها قائلا:

- آه لقد فاتتك المتعة يا عزيزتي... لو أنك رأيتها كيف بقيت متسمرة عندما مازحتها أمس.

وكان بذلك يوجه كلامه لزوجته لكنها لم تبد ردة الفعل التي انتظرها فقد اكتفت بابتسامة نحو شقيقتها وقالت:

- صباح الخير مايو... لا تكترثي له، أعرف مزاحه الثقيل جيدا.

إلا أن مايا لم ترد على كليهما وكانت إجابتها عبارة عن ابتسامة خفيفة. جلست على مائدة الطعام، طلبت من أختها كاسا من القهوة، زمّت رناد شفتيها وكأنها ارتشفت جرعة من العصير المخلل وكان تعبيرها دليلا على التأسف وبدا أن مايا كانت بانتظار كل التعابير إلا هذا التعبير فتنحنحت وقالت:

- ماذا؟ ألا توجد منها اليوم أيضا؟
- مع الأسف عزيزتي...
- لو طلبت مني أمس عندما خرجت لاشتريتها معي...

قاطعتها رناد متنحنحة قائلة:

- لا! لا داعي لذلك صدقاً، أصلا، لقد أوصيت مهدي قبل استيقاظك بأن يشتريها اليوم، أعرف مدى عشقك للقهوة السوداء!

فاق مهدي من شروده وراح يهز رأسه بابتسامة قائلا:

- بالفعل مايا! أختك معها حق لا تقلقي، سأجلب لك ما تشائين حين عودتي.

أطلقت تنهيدة مكتومة وفركت جبينها وكأنما تقام جنازة داخل عقلها فاقتربت منها رناد ممسكة بكأس من العصير وباليد الأخرى حبة دواء ملونة فابتسمت لما رأتها فقد شبهتها بالحلوى التي لطالما اقتسمتها معها في صغرهما ولمْ تدرٍ لم تتوافد عليها بعض من الذكريات القديمة مؤخراً وارتأت أن ذلك عله يكون بسبب رؤيتها لأختها بعد وقت طويل كما أنها قد تكون السبب الرئيسي وراء آلام رأسها المتواصلة.

- أشكرك على العصير لم يكن هناك من داع لإرهاق نفسك.

لكن ما هذا؟ قالت مشيرة بذلك للدواء فأجابتها رناد قائلة:

- إنها فيتامينات اعتدت تناولها كل صباح... خذي اشربيها ستفيدك لمواصلة الكتابة.

شعرت بالهدوء النفسي يغمرها وبسكينة تامة، تنهدت بعمق ثم خرجت تتجول في الحديقة وراحت تبتسم مع الأزهار وتقترب من كل واحدة وتخبرها بأنها جميلة وذات عطر أخاذ وكأنهما يتحدثان نفس اللغة وفي لحظة ما تسمرت مكانها حيث ظهر لها أنها لمحت طيفا يظهر ويختفي وكأنه يتجسد ويتلاشى وعندما أطالت النظر لم تجد شيئاً فأغمضت عينيها لتستعيد تركيزها وإدراكها وفي تلك اللحظة أفزعتها رناد التي ربتت على كتفها فشهقت بصمت بينما قالت رناد:

- سوف تمرضين لو أكملت على هذه الحال، عليك أن تعتني بنفسك، أمسكي أحضرت لك الشال لتتدفئي.

" آه إنها أنت " قالت بينها وبين نفسها ثم أومأت إلى رناد بابتسامة لطيفة وقالت:

- كل ما أردته بعض الهواء البارد والنقي.

بادلتها شقيقتها الابتسامة قائلة:

- هل تذكرين عندما كنت صغيرة كمْ كنت تحبين الورود...

ضحكت بخفة وأضافت:

- أذكر جيدا تلك الليلة حيث نام الجميع وقمت منتصف الليل على همساتك لأجدك ما تزالين مستيقظة فسألتك قائلة " مايوش ما الذي تفعلينه عندك! "

تضاعفت ضحكتها حينما أضافت قائلة:

- وأذكر أنك أشرت نحوي بيدك بطريقة مضحكة كي اصمت قبل أن تطير منك الفكرة لكن للأسف طارت حينها بسببي حتى أنك عاتبتني من أجلها أسبوعاً كاملاً...

قاطعتها باستغراب قائلة:

- همم... بصراحة لا أذكر جيدا، أية فكرة تقصدين؟!
- أويعقل؟ هل نسيت! كنت تخططين لغرس الريحان والياسمين في حديقة منزلنا والفكرة كانت حول موضع الورود على ما أعتقد وترتيبها لتصبح ألوانها متناسقة، هذا ما قلته لي وقتها.
- آه... لا أدري لماذا لا أتمكن من تذكر معظم طفولتي.

لاذت بالصمت بينما أكملت حديثها مع نفسها " أو لأكون دقيقة لا أتذكر معظم ما حدث معي قبل وفاة والدنا " اقتربت منها رناد واحتضنتها بابتسامة واسعة مرفقة ببريق يطل من عينيها وقالت:

- لا تقلقي يا حلوتي فهذا يحدث أحيانا بسبب الضغوطات كما أنني موجودة " شبيك لبيك ذكرياتي بين يديك، هههه"

مالت زاوية فمها بضحكة خفيفة ثم نظرت نحو السماء وقالت:

- هل تعلمين... عندما أنظر الى السماء تخطر ببالي آلاف الأسئلة.

من أنا؟ من أكون؟ أين أنا؟ وإلى أين سأصل؟ ومتى أنتهي؟...

- هس لا تفكري هكذا...

قاطعتها قائلة:

- – من فضلك– لا تمنعيني عن التفكير لأنه ليس بالسوء الذي تظنينه فهو يجعلني أسترخي، أتعلمين شيئا؟
- ماذا؟
- هذه الأسئلة جميعها لديها جواب واحد.

نظرت باستغراب في عينيها مترقبة ما ستقوله فأكملت:

- الجواب هو أن الزمن سيكشف كل شيء لوحده... أؤمن أيضا أن السماء التي نراها اليوم ليست نفسها التي سنراها بالغد، ومع ذلك، أحيانا لا أحد يرفع رأسه ليشاهد اختلافها.

أمعنت رناد النظر إلى السماء والحيرة تعتلي ملامحها وبتلقائية قطبت حاجبيها وقالت كما لو أنها سمعت شعرا لم تفهمه:

- ما قصدك؟! إن السماء واحدة!!
- بصراحة لا أوافقك الرأي فكلما مشت الغيوم جرَّت السماء معها أو العكس، يعني هذا ما أراه أنا وأقتنع به. قد تكون سماؤنا اليوم نفسها التي كانت بالأمس في آسيا أو في قارة أخرى.

أخفت رناد استغرابها ولاذت بالصمت.

*****

إن أردت أن تبدو مثل صنف أعجبك من الناس ولم تستطع فحاول أن تكون أفضل منهم حتى يتمنوا أن يصبحوا مثلك في يوم ما.

عليك بطرد جميع الأشياء السلبية التي تشعرك بالحزن وعدم الراحة وبقولي "الأشياء" قصدت حتى الأشخاص الذين تعرفهم وخصوصا إن كانوا مقربين منك، لا يهم إن كان ذلك الشخص صديقك أو صديقتك، عليك التخلص منه وبسرعة! لأنه، وصدقني، لو كان الشخص الذي خطر ببالك الآن مفيدا لك ونواياه صافية ناحيتك لما جعلك تكتئب أو تشعر بالحزن يوماً فالطاقة السلبية معدية وتأثيرها عليك وعلى مستقبلك سيئ للغاية، يوجد بعض الأشخاص شياطين على هيئة بشر يجعلونك تظن أنهم ملائكة يتعمدون إيذاءك وتعذيبك نفسيا وضميرك الغبي يستمع إليهم بطاعة، يوهمونك أنهم طيبون وأنت الشرير، يجعلونك تعتقد أنهم يقودونك نحو الطريق الصحيح في حين أن قعر جهنم أفضل من وجهتهم، عليك أن تستيقظ وتفتح عينيك لترى حقيقتهم القذرة تجنب أولئك الذين يحثونك على أن تكون طيبا وتتنازل عن حقك الضائع لأنه لن يعيد أحد إليك حقك سواك، الانتقام العادل يريح الذات خصوصا إن كنت " مظلوماً "، ولا أنصحك أن تكون كذلك.

تعلم أن تنتقم من أي شخص آذاك ولو بكلمة جارحة، الأشياء المؤذية التي تبقى عالقة في ذهنك هي التي تعيق تقدمك نحو النجاح.

*****

في وقت لاحق من ذلك اليوم دلفت إلى غرفتي أتجول كالتائهة ورحت أتعرف على ما لم أعرفه من محتويات ولم يكن الكثير ليثير انتباهي أو إعجابي سوى ذلك الدفتر الأسود الذي كانت به حاشية صغيرة تطول خارجه فتقدمت نحوه ثم أمسكت به، كانت تلك مذكراتي التي طالما رافقتني في صغرى وفترة نضوجي ولم أكن أسمح لمشاغل اليوم أن تلهيني دون أن أدون عليها ما كان في يومي ذاك، إلا أن الأوضاع تغيرت حينما انتقلت للعيش وحدي بعد وفاة والدي الحبيب رحمه الله، ارتميت على السرير ورحت أقرأ ما بداخله ووجدت أن طريقة سير الحياة غريبة ففي الوقت الذي كنت أكتب فيه هذه المذكرات كان يسمى بالحاضر أما الآن فبات من الماضي، والمستقبل الذي كنت أتطلع له أصبح حاضر وحتى لحظتي هذه تتحول إلى ماض مع مرور كل ثانية، وعلي الاعتراف بأنه ساعدني لاسترجاع بعض من الذكريات الضائعة، لكن ما استغربته حقا ووضعني في حيرة هو الصفحات القليلة التي تبقت منه بعد أن أقفلت السابعة عشرة من العمر حيث إنني لم أجد ما كتبه وقتها من صفحات فظننت لوهلة أنني لم أستمر بالكتابة عليه إلا أن شعوري القوي وهمس طفيف أخبرني بالعكس، وفي تلك اللحظة المحيرة زاد ذهولي بعدما لمحت بقايا من صفحات ممزقة فقمت مسرعة لأسال شقيقتي عن سببها إلا أنني لم أرهق نفسي في التوجه إلى غرفتها فقد لمحتها بالفعل قرب بابي فسبقتني ناطقة بقولها:

- منظرك وأنت تتصفحين مذكراتك جعلني أتذكر طفولتنا.

لم اجب على ما قالته فكل تركيزي كان عن الدفتر وورقاته الممزقة فرفعته عاليا كي تراه جيداً وقلت:

- هل تعلمين بينما كنت أتصفحه لم أجد باقي الصفحات التي كتبتها.

أكملت رناد قائلة متجاهلة ما قلته لها وكأنها لم تسمع شيئا:

- وكيف كنت تخصصين الوقت للكتابة عليها حتى في لحظات حزنك وفرحك.

ولِمَ لمْ تجبني؟ وجّهت لها السؤال مجددا:

- أخبريني هل تعرفين شيئا بخصوص هذه الصفحات الممزقة؟

بعد لحظات من الصمت هزت رأسها بالنفي وأجابتني بكل هدوء:

- لا... ليس لدي علم، كنتِ صغيرة عندما قمت بكتابتها لعلك مزقتها خطأ.

- هل تقولين أنني في عمر السابعة عشرة كنت "صغيرة".

ضحكتْ على ما قلته ولم أدر ما المضحك، فقد كنت جدية لأقصى درجة، اقتربت مني ثم قرصت خدي بلطف وقالت:

- بنظري تبقين دائما صغيرتي مايو.

قالت كلماتها تلك ثم غادرت وتركتني في حيرة من أمري، رحت أنبش في مقبرة الذكريات لعلي أجد ذكرى منسية مزقت فيها تلك الصفحات لكن دون جدوى، وأخذت أقلبه مراراً وتكراراً حتى آخر صفحة من صفحاته لكن لم أجد شيئا... لا... لا شيء!

تمددت على سريري ورحت أفكر محاولة تذكر ما حدث للمذكرات حتى اختلطت الأفكار في عقلي وانتابتني حالة غضب حينما تذكرت "لا أحد" وتساءلت بين نفسي عن اللعبة التي يريد أن يلعبها معي وإلى أين ممكن أن تصل مدى خطورتها وبفضل فضولي القوي أسرعت إلى حاسوبي وبعدما قمت بتشغيله رحت أطبع له رسالتي...

- ما هي اللعبة التي تريد إشراكي فيها؟

لفت انتباهي اختفاء رسائلنا الماضية وتكوّن مجسم المراسلة بشكل جديد دوما، لم أنتظر كثيرا حتى وصلني رده الساخر كعادته:

- خطوة غير متوقعة منك... لم أكن أنوي التحدث معك قبل إيجاد موقعك الحالي لكن يبدو أن اشتياقك القوي لم يحتمل الصبر!
- هات ما عندك ودعنا ننتهي من هذا الموضوع بعدها إياك أن تتواصل معي مرة ثانية.
- لكنك تجرحين كبريائي، هل تريدين التخلص مني لهذه الدرجة؟
- مستعدة لفعل أي شيء كي أتخلص منك فلست سوى عبء، بل كالقمامة القذرة!
- اعلمي أنني أتقبل إهاناتك فقط لأنها تسمح لنا بتبادل الحديث لهذا لن أفعل ما يؤذي قلبك هذه المرة لكن، إن تماديت أكثر من هذا فستحدث أشياء ستؤلم روحك!

يظن أن بكلامه الغبي يستطيع أن يخيفني بينما لا يعرف أن من ليس لديه شيء لخسارته لا تهمه الخسارة لأنها غير متاحة في قاموسه.

- بلا... بلا... بلا! بالنسبة لي فكل ما تقوله ليس سوى ترهات والآن أخبرني من الأخير، ما الذي تدور حوله لعبتك هذه؟
- اللعبة بسيطة... لو تنازلت عن كبرياءك قليلا ورضخت لي منذ البداية لما حدث ما حدث، وإن لم تستسلمي لي حاليا فسيحدث أكثر مما حدث.

رحت أعض شفاهي غضباً واستفزازاً من حديثه الذي يدفع دم الانسان بالغليان وامتنعت عن الرد لأن الردود التي تدور داخل عقلي لن تكون سارة إن بحت بها، أكمل كلامه قائلا:

- اللعبة تدور يا مايا عزيزتي حول مشاعرك التي ستقومين بالبوح بها... لي أنا!

على الرغم من الوضع الذي أنا فيه!

هذا المجنون، يريد معالجتي! بدلا من أن يعالج مشاكله النفسية؟ لقد لمس بقوله هذا وتر الضحك بداخلي، وليته لم يفعل فقد أخذت أضحك بهستيرية على كلامه قليلا وعلى حظي بالأكثر وقلت:

- هل تظننا في برنامج حوارات يدور حول التسامح والمحبة!
- صدقني أو اهزئي كما شئت إلا أن اللعبة هكذا، بسيطة حد التعقيد.

استغربت من جوابه ورحت أحلل الأمور في عقلي وأتخيل مدى صعوبتها حتى أضاف:

- ستخبريني درجة درجة عن أعمق ما في داخلك وإن لم ترغبي بمصارحتي أو أحسستُ للحظة أنك تكذبين علي فسأقوم لحظتها بقتل الأحب إلى قلبك.

شعرت بالجدية في كلامه وقد أخافني ذلك فقد سمحت لخيالاتي بالتوسع وخشيت على أختي وما قد يصيبها -لا سمح الله- إذا عرف بمكاني وندمت على القدوم وتوريطها فيما أنا فيه، لم أعرف ما العمل أو كيف أتخلص منه، حتى الشرطة بنفسها لم تستطع التخلص منه وتأكدت في هذه اللحظة أنني في مأزق لا خروج منه...

كانت هذه المرة الأولى في حياتي التي أسمح فيها لأحد أن يتحكم بقراراتي وقد كان هذا "الأحد" هو غريب مختل لا رحمة ولا شفقة في قلبه!

- حسنا لك ما تريد اسألني ما الذي تريد أن تعرفه وسأجيبك دون لف أو دوران فلا يوجد ما أخفيه أنا كالكتاب المفتوح.

- آه، حقا! أتساءل كمْ ستصمد هذه الثقة التي تحملينها مع سير الأيام حينما يسقط جدارك.

- لم أفهم، وضح كلامك، وما تقصده؟

- اسمعي مايا... في هذا العالم الكبير الجميع لديه أسرار. هناك منها ما هو بسيط وأخرى عميقة وأنت تعرفين جيداً عما أتحدث... لا يهمني من كان حبك الأول في الابتدائية أو من أعجبك سراً سنوات مراهقتك...

اكتفيت بالصمت حينما خطر ببالي أنه يعرف بالفعل عن أعمق أسراري لكنه يريدني أن أعترف له بها فمن المستحيل أن يدخل أحد ما الى عقلك إلا عن طريق التنويم المغناطيسي أو إذا كان ساحرا! لكن لا وجود للسحر أو المعجزات في زمننا، هذا ما أؤمن به على الأقل.

- أإنسي أنت؟! وأذا كنا سنباشر البوح بمشاعرنا فعلى الأقل أخبرني عنك، عن هويتك ربما أو جنسك على الأقل!

- لمَ تسألي؟ هل ستختلف معاملتك إذا أخبرتك أنني جني مثلا وأيضا، ما الذي ستفعلينه بمعرفة جنسي؟ ألم تقولي إن "جنس البشر لا يحدد أفعاله"

أحسست برعب يجتاحني وأنا أقرأ كلامه فقد توقعت كل الإجابات إلا ما قاله! من أين جاء بذلك الاقتباس! فقد كتبته منذ زمن إلا أنني حذفته في نفس الوقت الذي كتبته فيه!

قلت متسائلة بذهول بعدما أحسست بأن عقلي سيتوقف عن العمل:

- مهلا لحظة. كيف عثرت على ذلك؟!

انتظرت إجابته بكل حماقة لكنه قابل ذلك بالضحك والسخرية، لم أدر ما يضحكه، فزاد ذلك من انفعالي، حتى أصابعي بادلتني الغضب وبينما أنا أكتب له حرصت جاهدة ألا أكسر لوحة المفاتيح بأصابعي.

- ممَّ تضحك؟!!

- "لا أحد" لعل اسمي سمح لك بالاستهانة بقدراتي! لا تنسي أنني في كل مكان.

تنهدت مستسلمة لهذا الكيان الذي سلطه الله علي ولم أعرف كيف أخلص نفسي منه، قلت:

- حسنا... ما الذي ستفعله بمَ أبوح لك به؟ هل ستهددني به أم تنشره على الإنترنت مثلا؟

- كمْ أعشق جديتك فهي تعني أنك أدركت أخيرا بألا مفر مني.

أليس كذلك!

- أنت محق، لهذا، سألبي أوامرك دون أن تتجاوز حدودك مع أنك تجاوزتها بالفعل عندما قتلت رفيقي الوحيد.

- دعك من هذا الآن، أوتسمين عصفورا رفيقا لك؟ هذا مثير للشفقة كما أن هذا يعني أنني سأكون رفيقك الجديد والوحيد لكن لا أعدك بأني لن أقتل نفسي ذات يوم.. هههه.

- أحسست بالاشمئزاز من حديثه الذي يدل على الجنون والاختلال العقلي لا غير.

- لا تقلقي سيبقى كل شيء سراً بيننا فهذا ما يفعله الأصدقاء، الحفاظ على أسرار بعضهم أليس كذلك؟

- أعتقد أيضا أن الصداقة لا تأتي بالقوة... هذا إذا كنت تعرف معناها اصلا!

- طبعا أعرف معناها، حتى إنني لا أظن أن هناك من يعرفها أكثر مني فقد كان لدي صديق مقرب لم يوجد أفضل منه.

شعرت بالاستغراب، من سيصادق مجنونا مثله؟ وفي نفس الوقت فرحت لذلك فقد شعرت بأني سأتحرر منه إذ ذكر صديقه هذا، قلت:

- هذا رائع! لما لا تذهب إلى صديقك وتتركني أعيش بسلام إذا؟
- لا أستطيع فعل ذلك.
- فقد قتلته.

ارتجفت أطرافي ودق قلبي بعنف بعدما قرأت رسالته وتسمرت مكاني بينما دارت الأفكار والخيالات بداخلي وأمسكت برأسي بعدما شعرت به يغلي هل هذا ما ينوي أن يفعله بي.. هل أصبحت شاهدة على اعتراف المجرم بجريمة قتل!

- كيف أمكنك التفريط في صديقك إنه روح! روح...

أي أنه وثق بك وربما لديه عائلة تتألم لفراقه!

- اه.. لا تقلقي بخصوص ذلك فهو يتيم، ووحيد ولن يتألم لموته أحد.

أثار رده اشمئزازي لكنه أثار دهشتي أكثر، فكيف يعقل أن يحيى إنسان بدون ضمير لهذه الدرجة، يتحدث وكأنه قتل نملة حتى النمل يحق له أن يعيش فما بالك إذا بإنسان لديه روح وطموحات وحياة يعيشها.. رحت أفكر بكل هذا حتى تمادى عقلي وتخيلت شكل المسكين ومنظره لحظة قتله من قبل صديقه المقرب.

كم يكون مؤلماً أن تعيش يتيماً دون كتف تسند رأسك عليه عند الحاجة، لكن برأيي، اليتم الحقيقي ليس عند موت أحد الوالدين، بل عندما تفقده وهو على قيد الحياة.. مازال الضعف ينخر جسدي كلما فكرت بك يا أمي.. لن أسامحك يوماً على ما فعلته وقد عاهدت نفسي بألا أذرف دموعي بسببك لكن.. لا يمكنني إيقافها أيضا.. هل ترين؟ حتى في غيابك تؤلمين قلبي..

أي أمّ أنت!

غرقت في أفكاري حتى أخذتني أمواجها عميقا في النوم.

*****

أحيانا يكون الضمير عدو الإنسان الذي يستسلم له...

حينما تكون ضعيفاً يتحامل عليك الجميع وبدل أن يقف ضميرك في طرفك ويزيد من قوتك إلا أنه يقف ضدك ويزيد معاناتك يتلذذ بها، لكن وفي الوقت ذاته أؤمن أن الضمير الهادئ والذي ليس لصوته صدى هو الذي يدمر صاحبه أكثر، وقتها لا يكون عدواً لك، بل لإنسانيتك... يدمرها ويفتت كل جزء منها لتصبح رمادا وحينها يكون كل شيء عدوا لك وتكون عدوا لكل شيء...

يجب أن تتذكر جيدا قرارك وتتذكر الأسباب التي قادتك إليه حتى لا يغلبك ضميرك فيما بعد.

أحياناً تضعنا الحياة في امتحانات لا نتوقعها وتجبرنا على اختيار أشياء لا نريدها وسلوك طرق مؤذية، لكن هذا لا يعني أن نضحي بضميرنا من أجل ما نريد أو

نطاوعه إلى أقصى حد حتى يستنزف كل ما لدينا من طاقة لأن هذه حياة وليست جنة، ولا يسعنا فعل شيء سوى مقاومة التيار الذي تقودنا نحوه.

*****

أنهت الكتابة واستلقت على السرير مطردة في التفكير، فجأة خطر ببالها أن تسترجع ما غاب من ذاكرتها فتوجهت نحو درج الطاولة لتستخرج منه مذكراتها إلا أنها لم تجدها فأيقنت أنها نست أين خبأتها آخر مرة فراحت تقلب عليها في أرجاء الغرفة لتجدها بعد دقائق مرمية تحت السرير فاستغربت لما يحدث.

دخلت رناد ممسكة بالصينية وكان وجهها شاحباً كالموت وعينيها داكنتين كعيون البانداا ثم قالت بعدما ألقت عليها تحية الصباح:

- يبدو الإرهاق على وجهك، هل نمت جيدا؟

هزت رناد رأسها بالنفي ثم تنهدت بعمق مما جعل مايا تقلق على شقيقتها فأمسكت بيدها وأضافت:

- ماذا حدث، أخبريني.
- لا تقلقي، ليس بالأمر الجلل فقط أطلت السهر ليلة أمس لأن مهدي تأخر في العودة كعادته.
- إذا لماذا لم تأت لتنامي بجانبي؟

قالت ذلك ثم تذكرت أنها في ذاك الوقت كانت تتحدث مع "لا أحد" فصمتت وأخفت ارتباكها.

- في الواقع فكرت في ذلك لكن ظننتك نائمة ولم أرغب في إزعاجك.

- معقول! حتى لو كنت نائمة هذا لا يعني أنه عليك أن تنامي لوحدك.

صمتت قليلا ثم ضغطت على يدها مطمئنة وأضافت:

- لا تقلقي لعله سهر مع أصدقائه لهذا تأخر في العودة.

بعد برهة رسمت رناد على شفتيها ابتسامة مثيرة للشفقة وقالت بصوت يائس:

- أعرفه جيدا، ليس لديه أصدقاء... على أية حال، لا تقلقي، أنا بخير وعلى أحسن ما يرام.

اقتربت مايا من أختها وطبعت قبلة لطيفة على خدها وبابتسامة لطيفة قالت رناد:

- إشربي حبوب الفيتامين التي أحضرتها لك حتى لا يؤلمك رأسك كعادته.

هزت مايا رأسها متشكرة ثم قامت بشربها بعدما سوت شرشف السرير وغطاءه.

قبل مغرب ذاك اليوم بساعة استيقظت على ضجيج أفزعها ولما تنبهت لما حولها أيقنت أنها نامت في غرفتها دون أن تدري فتوجهت نحو الصوت لتجد سيدة لم تبلغ عقدها الرابع بعد.

نطقت رناد قائلة أول ما رأتها:

- هل استيقظت عزيزتي... دعيني أعرفك بصفية، جارتي التي حدثتك عنها قبل مدة، أتذكرين؟

اختتمت حديثها بغمزة من طرف عينها وعنت بغمزتها تلك أن تسايرها فيما تقوله فابتسمت مايا بلطافة فور ما فهمت قصدها ثم وجهت كلامها لجارتها قائلة إن هذه الشابة تكون شقيقتها الصغرى "مايا" فبدى من ملامح صفية أنها سُرت بمعرفتها

ودون أن تقول شيئاً جلست قرب رناد عند مدخل الغرفة وراحت تقص لهما ما عندها من أخبار وكانت كالتالي:

- آه يا نادو، يبدو أنه ليس لديك علم بما يدور في الحي، أحداث كثيرة وقعت بينما أنت منكمشة هنا!

قاطعتها رناد دون أن تبدي أي استغراب على وجهها فأحست شقيقتها أنها معتادة على ملكة الدراما جارتها وقالت بأنها تريد أن تحضر لها الشاي قبل أن تباشر في الموضوع لكن صفية رفضت ذلك بشدة فبدا من ملامحها وكأنها تحمل قنبلة موقوتة تود أن تفجرها على الفور فتراجعت رناد عن الوقوف فيما أردفت صفية:

- آه يا رناد آه، يبدو أن نهاية حينا اقتربت!!

لمحت مايا علامات الدهشة على شقيقتها فجارتها صفية لا تقول اسمها بالكامل إلا إذا حدث شيء مهول بالفعل!

- جاء جار جديد قطن بمنزل الحاجة سعاد ولم أعرف صلة القرابة بينهما حتى! فكرت بيني وبين نفسي وقلت "ما بك يا صفية هل ستبقين ساكنة هنا بينما فضولك يأكل قلبك!" فقمت وحضرت بعض الكعك ونويت أن أجعله حجة لأتعرف على هذا الغريب لكنه فاجأني بعدم استقباله لي واكتفى بأخذ الكعك من على الباب!

شهقت رناد بذهول وقالت متسائلة:

- هل تقصدين أنك لم تعرفي بعد أصله وفصله!!
- هزت صفية رأسها نفيا، وبحسرة.

قالت رناد:

- إنها نهاية حينا فعلا!

بدت علامات الحيرة على مايا التي لم تفهم شيئا فأخذت رناد تشرح لها قائلة:

- عزيزتي مايو...

تنحنحت وأكملت كلامها:

- في حينا... أو دعيني أقول: في مدينتنا بأكملها لا يوجد من لا تعرف عن أخباره صفية، فمن أول مقابلة يمكنها معرفة الكثير من الأمور عنك حتى التي لا تعرفينها عن نفسك بعد! وهذا كله بفضل خبرتها.

بينما كانت رناد تشرح لأختها، كانت صفية في الطرف الآخر تتباهى بما تقوله عنها جارتها العزيزة فقد ظهرت عليها علامات الاعتزاز والسرور وكأنها تفتخر بمهنتها النادرة التي تعتبرها موهبة فطرية ورثتها عن جدتها فيروز رحمها الله.

أحيانا نرث عن أجدادنا أشياء غريبة!

في تلك اللحظة بدأ كل جزء من صفية بالاهتزاز حيث توقفت عن الكلام والتنفس وشهقت شهقة طويلة ظنت مايا بألا نهاية لها ففزعت حينما خطر ببالها أن المرأة تُحتضر ونهضت من مقعدها لتسعفها لكن بغمزة مطمئنة من أختها وهمسات خفية أدركت أن صفية ما تفعله يسمى بالضحك.

للناس ضحكات غريبة فعلا!

نطقت صفية موجهة كلامها لرناد بعد فترة طويلة من الضحك والشهيق المتواصل:

• على الرغم من غموضه إلا أنني أعترف بوسامته وضخامة عضلاته... لكن لا تخبري زوجي بذلك، فأنت تعرفين كمْ يغار علي!

* * * * *

التحدث مع فئة معينة من الناس لوقت طويل يجعلك تمر بكارثة نفسية مع مرور الزمن فالله لم يخلق كل هذا العدد من البشر كي ينعزلوا عن بعضهم البعض، خالط البشر وعدد معرفتك بالناس لعلك تجد من هم أفضل من معارفك.

عندما تختلف طرقنا في فهم الأمور او التفكير هذا لا يعني أن باقي البشر أصبحوا طيبين ونحن السيئون، فإنك وإن لم تسرق مني شيئا هذا لا يعني أنك لست لصاً.

* * * * *

مر الوقت سريعاً وفي نهاية الساعة أعدت لنا رناد الشاي الذي شربناه قبل أن يبرد فقد كان مذاقه حلوا لذيذا وبعد وقت قصير من إنهائه انصرفت صفية إلى بيتها بعدما قامت بتفجير جميع القنابل التي حملتها، قامت رناد لتعدّ العشاء قبل مجيء مهدي من عمله، جلسنا على طاولة العشاء في الحديقة بدل المطبخ فقد كان الطقس لطيفاً مريحاً وأخذنا نتبادل أطراف الصمت فيما بيننا، شجعني الطقس على البوح بما في داخلي لشقيقتي الكبرى التي لا زالت تحبني على الرغم من الصعوبات التي اجتزناها معاً حتى خطر ببالي أن أخبرها عن ذاك الحقير علها تعطيني حلاً للتخلص منه فقد اشتهرت منذ صغرنا بحصولها على الحلول النادرة لكل مشكلة مستعصية، لكن فكرت أن الجريمة التي حدثني عنها ليلة أمس من الممكن أن تنكشف ومن

جهة أخرى لم أتجرأ على إخبارها فقد خشيت أن أورط المسكينة في مشكلة لا حل لها ولا خروج منها فاكتفيت بالتزام الصمت.

بعدما انتهينا من العشاء توجهت إلى غرفتي لأشتت أفكاري التي بقيت تدور حول أخبار شقيقتي بما يحدث معي وما إن وقفت أمام الغرفة حتى سمعت صوت الإشعارات لحاسوبي فتذكرت أنني نسيت إطفاءه فركضت نحوه مسرعة قبل أن يسمعه أحد، لم تكن الرسالة التي وصلتني مفاجئة فقد توقعت تواصل ذاك المختل معي في هذا الوقت كعادته ولم أتردد بالرد عليه بسبب خشيتي من أن يؤذي أحد أحبائي أو يؤذيني أنا شخصيا.

- هل اشتراكي في لعبتك يعني أنك ستستمر بمراسلتي هكذا كل يوم؟
- يبدو أنك لا تعرفين إلقاء التحية هل نسيت والدتك أن تعلمك كيف تلقيها؟ آه أسف نسيت أنك عاديتها.
- لم يدهشني كلامه إطلاقا ومعرفته بخصامي لوالدتي لأني علمت بأنه قرأ ما كتبت على حاسوبي الذي أصبح تحت سيطرته كما يبدو.
- أخبرتني أنك لن تقوم بأذيتي وصحيح أنك لم تؤذني جسدياً لكنك قمت بإيذائي نفسياً.
- آسف عزيزتي فهذا آخر ما أريده... والآن بما أنك صارحتني عن شعورك الحالي... أخبريني بالمزيد عما تشعرين به في أعماقك.

- أشعر كمن يمسك بكيس قذر من القمامة الكريهة متجها لرميها ويتحمل نجسها بجهد حتى يتخلص منها لأنه يعرف جيدا أنه إذا أفلت يده فستنزلق عليه وتلطخه بقذارتها... هكذا يكون شعوري كل مرة أحادثك فيها.

تنفست بعمق بعدما أرسلت ما كتبته فقد أحسست أنني أفرغت بعضا ما في داخلي مما أراحني ذلك.

- لماذا تلعبين دور البريئة التي تمثل أنها لا تعرف شيئا بينما هي ما تسببت بكل شيء؟

بدا لي ما قاله كاللغز ولم أرغب بالمبادرة لسؤاله عن أسباب ما يقول أوليس كل ما يتفوه به غريبا هكذا؟ لم أتفطن لما يرمي إليه ولم أجب فقط اكتفيت بالقول:

- إذا كنت تلمح عن موضوع والدتي والذي ليس لك دخل فيه فاعلم فقط أنني لم أكتب كل ما حدث في حياتي لهذا لا يمكنك أن تحكم علي من الأسطر القصيرة التي كتبتها منذ زمن.

صمت قليلا وأضفت، ببساطة:

- كما أني وإذا كنت سأحاسب من أجل شيء فعلته فستكون آخر من يحق له محاسبتي.
- مايا خيبت ظني يبدو أنك لم تفهمي بعد... لست هنا لمحاسبتك، بل لمساعدتك.

ما الذي يقصده بمساعدتي! يجدر به مساعدة نفسه والتوجه لطبيب نفسي!

- أخبريني ألم تتعبي بعد من رفض اتصالاتها في كل مرة أرادت أن تلتقي بك؟

شرد عقلي غير مصدقة بعدما دب الشك في داخلي "أيعقل أن تكون والدتي من تتحدث معي"... مرت خمس دقائق كاملة وأنا في غرفتي أقطعها ذهابا وإيابا أفكر في ذلك... لا! لا يعقل أن تكون بهذا السوء! صحيح أنها السبب في وفاة والدي، لكن لا أظنها مجنونة لهذه الدرجة!

- لِمَ تصمتين، هل أكل القط لسانك؟

جلست ثانية ورحت أكتب له:

- ما زلت معك، كنت أفكر بما أجيبك فقط.
- أجيبيني بالحقيقة فقط، هذا كل ما أريده منك يا صديقتي، صحيح أن الحقيقة يصعب البوح بها، لكن صعب إخفاؤها كذلك.
- حسنا... أنا لم ولن أتعب من رفضها لأنها تستحق أكثر من ذلك.

بعد التفكير الذي دار بيني وبين عقلي قررت أخيرا أن أكتشف هويته والتأكد منه فقلت مضيفة:

- سأجيبك بعد أن تجيبني على هذا... هل برأيك أن الشمس والقمر عدوان؟

لقد عزمت على أن أوقعه في مصيدة خبيثة بسؤالي الذي طرحته فإذا كانت حقا والدتي تتلاعب بي فبكل تأكيد ستجيبني بأن الله من كتب لهما ذلك وبأنهما بلا إرادة

فقد طرحت عليها هذا السؤال مرارا في صغري وكنت أتعجب من عدم تغير إجابتها.

- إذا كنت تريدين رأيي فسأكون صادقاً معك...

توقف للحظة ثم أكمل مضيفا:

- لا يشترط أن يكونا أعداء حتى يتجنبا بعضهما البعض.

ذهلت لما قاله فلم تكن الإجابة التي انتظرتها. هذا يعني أنه ليس والدتي، يا لحسن وسوء حظي! قلت متسائلة بعدما عدت إلى رشدي:

- مهلا، ما قصدك؟
- ما قصدته هو العشق! يعني لعلهما عاشقان يخافان أن تلتقي أعينهما، والتي تكون عبارة عن وهج الشمس وضوء القمر الساطع فتتضح حقيقة حبهما وهكذا ينكشف السر الكبير.

خلق ما قاله علامات التساؤل والحيرة على وجهي وقبل أن أنفوه بكلمة أكمل قائلا:

- وربما أيضا يمتلكان روح طيبة لذا تجنبا الالتقاء وضحّيا بعشقهما كي ينقذا البشرية والعالم!

أضاف بعدها:

- والآن قبل أن تغيري الموضوع مرة أخرى أريدك أن تخبريني عن مشاعرك اتجاه والدتك.

تهت في أفكاري للحظة، فعقلي لم يستوعب أن يمارس مجنون دور الطبيب النفسي عليّ.

- ما الذي تريد أن تعرفه بعد؟ لقد قرأت كل ما كتبته ألم يكفك ذلك؟
- أجل ومع ذلك أريدك أن تخبريني بنفسك عن شعورك.
- حسنا، أكرهها، أنا أكره والدتي! وأكرهك بنفس القدر.
- في واقع الأمر، أعرف بالفعل شعورك اتجاهي لذا لا داعي لتذكيري بالكره الذي تكنينه لي في كل مرة فهذا يؤلم قلبي!

تنهدت بحرارة وأغمضت عيني قبل أن تترقرق الدموع فيهما وتفلت مني وبعد ثوان استجمعت فيها انفاسي فتحتها لأجده يسألني سؤالا على الرغم من بساطته إلا أنني لم أعرف كيف أجيب عنه.

- هل انت سعيدة؟

*****

السعادة في داخلنا

لن تعرف معنى السعادة حتى تفقدها.

السعادة متاهات كلما فكرنا فيها تدخلنا في فكرة عميقة وأخرى أعمق...

من يكون سعيدا لا يحتاج للتفكير بالإجابة عندما يُطرح عليه هذا السؤال، فقط يجيب على الفور بأنه كذلك.

سأكتفي بهذا القدر لليوم، فالسعادة لا توصف بل تحس.

*****

استيقظت في الصباح التالي لتجد شقيقتها الحائرة المتوترة تخطو مجيئا وإيابا تعانق أناملها الهاتف بقلق وتنتقل بين النافذة والباب الخارجي للمطبخ وحين تنبهت لحيرتها قلت في هدوء:

- صباح الخير... هل كل شيء بخير؟

هزت رأسها بالنفي ثم ردت بصوت ينم عن العجز واليأس:

- أتصل بمهدي لكنه لا يرد.

ارتسمت علامات الحيرة على وجه مايا ثم اقتربت من شقيقتها وربتت على كتفها بحنو قائلة:

- لا تقلقي يا رناد، متأكدة من أنه بخير.
- آه، أجل، بالطبع! لكن ليست هذه المشكلة...

أكملت في ارتباك:

- علي أخذ القماش إلى صاحبته ونسي مهدي دفع فاتورة الكهرباء واليوم يكون آخر أجل لكلاهما.

أخذت مايا تهز رأسها في الاستماع لشقيقتها المتوترة، حين أنهت كلامها وجهت عينيها نحوها وقالت ممازحة:

- هل تقصدين آخر أجل لمهدي والفاتورة أم للقماش والكهرباء.

ضحكت رناد ضحكة باهتة رغم القلق الذي تخفيه خلف نظراتها وقالت:

- لكلاهما أكيد!
- إذا ما رأيك أن نتقاسم المهام؟

بقيت رناد تنظر باستغراب قبل أن تضع الهاتف من يدها واستمرت مايا في كلامها:

- سآخذ القماش إلى الخياطة أما أنت فتذهبين لدفع الفاتورة وهكذا تُحل المشكلة البسيطة.

في تلك اللحظة راحت تترقب بصمت وكلها أمل أن يجيب عليها زوجها قبل أن تعطي موافقتها لمايا لكنها خشيت إضاعة الوقت أكثر مما ضاع منها فوضعت الهاتف على الطاولة وقبلت العرض دون تردد.

بعد نصف ساعة من ذلك الوقت أتمت مايا مهمتها وما إن بدأت تخطو خطوات في طريق عودتها حتى أخذت تتذكر المواقف الطريفة التي حدثت لها ولأختها منذ كانت صغيرة لليوم، وراحت تكتم ضحكتها قبل أن يلاحظها أحد ويظنها قد جنّت، فجأة توقفت عن المشي، أحست بصداع رهيب، فأدركت أنها نسيت تناول حبوب الفيتامين التي تعطيها لها رناد كل صباح وتذكرت أنها لم تشرب القهوة التي طالما سكنت آلامها، قررت التوجه لاشتراء بعض منها، وما إن خطت خطوتين نحو الأمام حتى سقطت على الأرض مغشيا عليها...

عندما استيقظت رأت نظرات الشفقة في عيون الحشد المتجمع حولها، شحب وجهها وبات حائل اللون، حاولت النهوض لكنها فشلت في ذلك فأغمضت عينيها لتجنب الحرج واستمرت ساكنة، وفي تلك اللحظة المحرجة أحست بيد تحيط بخصرها وبلطف سحبتها اليد نحو

جسد صاحبها، حينها أدركت أن أحدا ما قد قام بحملها فذهلت وتأوهت بصمت بعدما تضاعف شعورها بالحرج والارتباك...

أرادت بشدة أن ترى من حملها فأدارت برأسها نحوه لتجده شابا أسمر البشرة ذو أعين متموج لونها تنبع منها نظرات حادة توحي بقوة شخصيته وكان كل جزء من وجهه يدل على الوسامة، لطالما كرهت لمس الغير لجسدها وكانت هذه مرتها الأولى التي يلمس فيها غريب جسدها، أسبلت عينيها بارتباك وتأملته بابتسامة صغيرة لكنها ناعمة فتيقن هذا الغريب أنها استيقظت، نظر إليها وقال بكل ثقة:

- لا تقلقي سنصل الى المستشفى عن قريب.

كانت أنفاسه تلفح وجهها وللحظة لم تدرك ما قاله فقد بدا صوته العذب كأنشودة دافئة وكان شعورها كمن يغمر جسده في البحر لأول مرة ويحس بموجاته تداعب بشرته ولم تدر إن كان شعورها بسبب لمساته أم بسبب عينيه أو لعلّ رموشه الكثيفة هي السبب، استندت مايا برأسها على كتفه وكانت تنزلق منه تارة فيضمها إليه تارة أخرى وحينما عاد اليها وعيها قفزت من بين ذراعيه وقالت بينما تراجعت للوراء:

- أنا بخير، لا داعي للمشفى.
- هل أنت متأكدة يا آنسة؟ وجهك شاحب، لا تبدين بخير!

لم تستغرب من ملابسه السوداء التي زادته غموضا وقاطعته بحزم قائلة بعدما كادت أن تشرد في عينيه:

- أخبرتك أنني بخير!

انصرفت بسرعة دون أن تلتفت خلفها، لم تدرِ لم حدثته بتلك النبرة القاسية، رغم أنها لا تشعر بالغضب بل بشعور غريب لا تفقهه يحفر معدتها وفي تلك اللحظة علمت أن هناك الكثير من المشاعر التي لم تتعرف عليها بعد.

***

شعرت مايا بوجهها يتورد وبحرارة تلهب كل شبر من جسدها لكنها لم تدرك سببها فظنت أنها أصيبت بحمى موسمية وقد حاولت جاهدة طرد جميع الأفكار التي توحي عكس ذلك... وحينما باتت أقرب إلى البيت اتضح لها أن ظلاً ما يتبعها فقررت أن تلتفت خلفها لترى من يكون، فعلت ذلك بكل هدوء وما إن استدارت حتى فوجئت بذاك الغريب يقف خلفها مباشرة، بعدما توقفت خطاه هو الآخر، شهقت بهلع بعدما أيقنت أنه يتبعها.

لطالما تخيلت أن المرة الأولى التي يلمسها فيها غريب سيكون شخص ما أحبته بجنون مثل أن يمسك يدها بتودد كما في المسلسلات الدرامية ليخبرها كمْ تبدو جميلة، حتى أنها تخيلت قبلتها الأولى حيث ترفع فيها قدمها بعفوية كما في الأفلام الرومانسية... لكن لا! هذا لم يحدث! بل ما حدث أن معتوها غريبا فعل ذلك وسرق منها لحظتها وهي الآن على وشك أن تحاسبه.

- هل تتبعني؟!

ضحكت على نفسها، بعد هذا السؤال، وقالت هامسة في سرها "آه ما هذا السؤال الذي تطرحينه! هل سأكذب عيني؟ وهل برأيك أيتها الغبية أنه سيفضح نفسه ويجيبك بالحقيقة" أبعدت شعرها عن وجهها ورقبتها ثم قالت بثقة وكبرياء:

- أنظر إلى واسمع جيدا لما أوشك على قوله!

برقت عيناها وهي تنظر إليه وتقول:

- إذا أحسست في أية لحظة وبشكل خاطئ أنه من الممكن أن أوافق على ما يدور في عقلك فقط لأنني تركتك تحملني بين ذراعيك فأنا آسفة حقا، بل جد آسفة لأن تفكيرك ساذج.

وقف الشاب مشدوهاً للحظات بينما راحت مايا تكمل كلامها قائلة:

- ولأن هذا يستحيل أن يحدث. أولا؛ لأنني غير منجذبة إليك، وهذا لا يعني أنك غير جذاب بل لأني لا أميل للعلاقات الغرامية وما شابه ذلك.

كانت كلما نطقت بعدد ازداد صوتها علواً ونبرتها أكثر حدة:

- وثانيا... تبدو كالمنحرفين الذين نراهم عادة في الأفلام حيث يتبع البطلة وينتهي به الأمر ميتاً أو نادراً ما يبتسم له الحظ، فيكمل حياته في السجن.

ثالثا...

في هاته اللحظة فتح الشاب فمه ليتحدث لكنها منعته بعدما أغمضت عينيها مشيرة إلى أنها لا تقبل مقاطعته الفجة فابتلع ريقه والتزم بالصمت بينما أكملت:

- ثالثا وأخيرا، نفس ما قلته ثانيا لذا لن أتعب نفسي بإعادة ما قلته. أواضح كلامي!

ضيق عينيه نحوها دون أن ينبس بكلمة والتوى ثغره بابتسامة ماكرة وانصرف تاركاً إياها في حيرة، وفي تلك اللحظة شعرت مايا بأمر غريب يحدث من حولها وفعلا حدث ما كانت تخشاه... وقف الشاب أمام أحد بيوت الحي ثم أخرج من جيبه شيئا ورفعه نحو السماء ثم أشار به إليها في مشهد من السخرية وبعدما ضيقت عينيها جيدا لرؤيته اتضح لها أنه مفتاح حديدي، راح الشاب يفتح الباب وعلامات الاستمتاع بادية عليه وبعد أن دلف بيته غمزها بطرف عينه وأقفل الباب في مشهد ساخر وأليم!

تجمدت مايا في مكانها وشعرت بقلبها يعتصر، فيما بدا على وجهها الخجل، راحت تتذكر ما قالته صفية الثرثارة عن الجار الغامض فعلمت أنه المقصود ووافقتها في كونه وقحاً كما وصفته.

دخلت غرفتي مسرعة بعدما أمطرتني رنادا بقبلاتها شاكرة، حاولت تجنب نظراتها قدر الإمكان خشية اكتشافها لغضبي الساخط وحتى لا تعذبني بأسئلتها المتكررة، لكن دون جدوى، فقد تبعتني وراحت تستبدل أمطار القبل بالأسئلة.

- مايو، خيرا؟ ما بك؟ لم تبدين غاضبة هكذا؟

أسندت ظهري إلى السرير، ثم قلت وأنا أتنهد:

- لا شيء، تعكر مزاجي قليلا فقط.

اقتربت مني بعدما اشتد فضولها وقالت:

- يبدو أن هناك من أزعج راحة شقيقتي العزيزة، دليني عليه حتى أريه ما أنا فاعلة.

ابتسمت معها وأجابت متهربة، بنبرة ودودة:

- لا داعي للقلق... أو القتل! ستتحسن حالتي عندما أفرغ ما بداخلي بالكتابة.

- ما هذه الخيانة هل ستتركين أختك هنا وتتوجهين للحاسوب؟ صحيح كيف ستتمكين من الكتابة بهذا المزاج؟

- لو انتظرت المزاج الجيد للكتابة لما كتبت حرفاً.

- أخبريني يا رناد، ترى، هل ما زلت على تواصل... معها؟

حملقت فيّ لبرهة غير مصدقة وقالت:

- من تقصدين؟!

لم أجبها، فمجرد تخيل أنني قد أنطق بكلمة "أمي" جعلت الكلمات تتوقف في حلقي كأمواس حادة تمزقني فاكتفيت بالصمت وأشحت نظري بعيدا عنها ففهمت على الفور من أقصد وأجابت بنبرة تشي بالحماسة، هي التي طالما انتظرت هذا السؤال:

- أجل مازلنا على تواصل لكن ليس كما في السابق...

صمتت قليلا وراحت تحدق بي كطفل صغير عرف للتو أن "بابا نوال" مجرد كذبة وأضافت:

- لم؟ هل تريدين أن...
- لا، تساءلت فقط، وهذا كل شيء!

قاطعتها على الفور قبل أن تنهي كلامها الذي حفظته عن ظهر قلب فلطالما أرهقتني بكلمات كـ "هل تريدين أن أدبر لكما لقاء؟ أتريدين أن أعطيها رقمك؟" وما الى ذلك.

*****

لكل من تخلت عنه الحياة وأصبح يتيما...

العناية الإلهية يا صديقي تذهب لمن لديه القدرة على التطور وتكره من يجلسون مكانهم منتظرين إثارة شفقة الغير، فالشفقة لن تنال منها شيئا سوى المذلة والمزيد من السقوط، لا تسمح لنفسك بأن تحترق في الشفقة لأنك لست بحاجة لها ولن تحقق أي شيء بوجودها، بل ستكون عائقاً لك فمن لا ينتظر يد المساعدة تأتيه ذراع كاملة منها وهذا شيء علمته الحياة لمن حطت في طرقهم عقبات ظنوا أنه من المستحيل تجاوزها لكنهم اجتازوها بفضل رغبتهم في العيش بشكل أفضل، أما إذا كنت تعتقد أن هناك من يقوم بإجهاد نفسه من أجلك بينما لم تتشجع لبذل أي جهد لمساعدة نفسك فاعلم عزيزي أن بتفكيرك هذا لن تخطو ولو شبرا نحو الأمام ، لديك الحق في أن تحب كل الأشياء إلا اختلاق الأعذار لأنها مدمرة لمستقبلك.

" الأم جنس ملائكي خلقه الله لنؤمن أكثر بوجود الملائكة" هذا ما يعتقده الكثير من الناس إلا أولئك الذين هم مثلي.

الذين لم ينتظروا يوما نيل الحب أو الاهتمام من الغرباء لأن أقرب الأقربين إليهم لم يقدموه لهم، لن يفهمني سوى من جرب هذا الشعور.

أحيانا تكون بعض الحقائق كالأغلال تقيدنا.

*****

استيقظت مايا بعدما داهمها كابوس رهيب من النوع الذي لطالما خشيت حضوره في منامها وراحت تشهق متحسسة رقبتها المتعرقة فيما كانت شفاهها بيضاء كالثلج، جلست تلتقط أنفاسها ثم مدت يدها نحو كوب الماء وبعدما ارتشفت منه رشفات توقف ارتجافها، لطالما داهمتها الكوابيس، التي اختلفت أشكالها وتنوعت إلا أن ردة فعلها لم تكن كهذه أبداً، وهذا يعود لما حدث معها في سابق عهدها... رفعت يدها ببطء نحو عنقها وتحسست ملمس بشرتها في نقطة ما حيث ارتسمت عليه ندبة بيضاء بدت ناتجة عن جرح عميق، فجأة شهقت ثانية بعدما عادت إليها مشاهد الكابوس إلا أنها أكثر واقعية فقد حدثت معها بالفعل في وقت ما... كانت الشمس قد غربت عندما كانت تجلس في المقعد الخلفي لسيارة والدها وعلي يمينها رناد التي كانت ترتعد ضيقاً من الشجار الذي يدور بين والديها في مقدمة السيارة، أما مايا قد تعودت على شجارهما المعتاد لكن هذه المرة كان حادا وعالياً أكثر من ذي قبل وكانت ردود فعل والدتها تختلف عن أي وقت مضى فقد أخذت تضرب زوجها

بعنف أفقده الحفاظ على توازن السيارة مما أدى في نهاية المطاف إلى انقلابها، وموته بعد ذلك.

طفرة دموع حارقة من عينيها أعادتها إلى سريرها فأغمضتهما بقوة وراحت تتحسس قلبها المنتفض الذي أخذت ضرباته تعصف كالرعد وأخذت تردد في سرها "لا لا... لا! ليس ثانية لا أريد أن أتذكر ذلك المشهد... أنت السبب، بسببك مات أبي".

قد تكون الأحلام عقدا نفسية تمنعنا من التحرر كما أنها أحيانا تبين لنا العقد النفسية التي تمنعنا من التحرر.

مرت دقائق قليلة استجمعت فيها أنفاسها ثم توجهت إلى المطبخ بعدما غسلت وجهها وإذ بها تجد شقيقتها غارقة وسط الدخان الذي كان ينبع من الفرن فركضت مسرعة باتجاه النافذة في حالة من الذهول ورفعت ستائرها مما جعل تسلل الهواء العليل منها يساعد على تصفية الجو وتنقيته، أخذت رناد تضحك بهستيرية بعدما لمحت علامات الدهشة على شقيقتها وراحت تلوح بيديها كي تستوضح الرؤية أمامها وفي تلك اللحظة التي لم تفهم فيها مايا شيئا مما يحدث عقدت ذراعيها عند صدرها وقالت:

- يا ويلي، لو بقيت دقيقة أخرى بداخل هذا الدخان لأغمي عليك... يبدو المكان كساحة حرب! ما الذي يحدث هنا يا رناد؟ ماذا فعلت؟

إجابتها رناد بلا مبالاة محاولة كتم الكحة الجافة التي داهمتها:

- همم من أين أبدأ يا ترى... بعدما أصابني الملل بطلقاته القاسية فكرت وقلت لم لا أحضر بعض الكعك وأهديه لجارنا الغريب الذي حدثتنا عنه صفية... أتذكرينه؟

بلعت مايا ريقها بارتباك وهي تنظر النظرات نفسها التي تقول "كيف لا أذكر الوقح الذي لمس جسدي صباح اليوم وفوق هذا تركني أغرق في خجلي"

- أردفت رناد قائلة:
- وجدت أنه من الأفضل التقرب منه للتعرف على عقليته حتى نضمن أماننا الخاص.

صمتت قليلا ثم اضافت قائلة:

- إذا ما رأيك؟ هلا رافقتني؟

احمر وجه مايا وتوقفت عن الابتسام وكأنها تلقت صفعتان، ردت بارتباك:

- لا! كلا... في الواقع لا نية لي للقيام بشيء.

هزت رناد كتفيها متفهمة ثم نفضت نفسها من الدقيق وخرجت ممسكة بصينية الكعك.

في وقت لاحق من ذاك المساء جلست رناد على مائدة العشاء وراحت تروي لشقيقتها عن هذا الغريب الذي كان ظن صفية به سيء وكل ما روته دل على طيبته ونيته الحسنة إلا أن مايا لم تنبس ببنت شفة فقد كان بالها منشغلاً بالإحراج الذي حصل معها هذا الصباح، صمتت وتنهدت تنهيدة دلت على هم عميق بداخلها فتنبهت مايا لذلك واعتدلت في جلستها ثم نطقت قائلة:

- أريحي قلبك من الهم المثقل به وأخبريني عما يشكوه.

رفعت رأسها الى الأعلى وفي عينيها نظرات الحزن والقلق وقالت بنبرة تشي بشيء من الاستسلام:

- دعك مني يا مايو لا تهتمي... ليس بالأمر الجلل.

رمقتها شقيقتها بنظرات تدل على الإصرار فرضخت لنظراتها وأضافت:

- أو ربما هو كذلك... بصراحة لا أدري... تصرفات مهدي باتت غريبة مؤخراً عندما أستيقظ من النوم وأفتح عيني، فإن ما أراه بجانبي جسد زوجي بأدق تفاصيله التي احفظها إلا أن حديثه وشخصيته تحسسني وكأنه كائن غريب عني كليا...

أسندت رأسها على كفها ثم أكملت:

- أخاف يا مايا أخاف من صوت الشك بداخلي.
- عليك أن تحذري... الشك يولد الخوف والخوف يصيبك بالجنون إذا ما أفرطت منه.
- فلتحكمي أنت إذا ما كان شكي في محله فقد بات يخفي عني هاتفه وقليلا ما يبادلني الحديث.

قالت بنبرة ودودة لتطمئنها:

- عله يخفي عنك ضغوطات العمل التي تصيبه خوفا عليك من القلق لا غير.

همت شاردة بذهنها وبعد لحظة مدّدها السكون قالت بابتسامة مكسورة:

- أحيانا يكون إخفاء الأشياء المهمة شبيهاً بالكذبة البيضاء لكنه أسوء منها.

ساد الصمت للحظات رن فيها جرس الباب فنهضت مايا من مقعدها وتوجهت لفتحه دون أن تكترث لمنظرها الطفولي فقد كانت ترتدي بيجامة وردية رسم عليها بالأبيض أرنب ذو أذنين طويلتين وعلى رأسها تربط شعرها بمشبك يشبه أذني القطة.

أدارت مزلاج الباب وفتحته وما إن تبينت لها ملامح وجه الطارق حتى وقفت جامدة مكانها في ذهول فقد كان الغريب ذو الوجه الساخر من هذا الصباح! أخذ يبتسم بسخرية مرة ثانية فور رؤيته منظرها، وراح يتفحصها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، "ما الذي أتى به إلى هنا! يا الهي ما العمل" راحت تردد في سرها" إلا أنها لم تجد ما تفعله غير أن تكمل ليلتها وكأنه لم يحدث ورأته فعادت أدراجها بخطوة ودفعت الباب بأقصى قوته وأغلقته في وجهه...

بعد لحظة وقبل أن تتزحزح من مكانها حضرت رناد متسائلة عن الطارق إلا أن مايا لم تجبها ففتحت رناد الباب لتجد الشاب ما يزال منتظراً واحمرت وجنتي مايا حرجاً فور ما رأته ثانية... قالت رناد بابتسامة لطيفة:

- آه، إنه أنت!

ابتسم الشاب فظهرت غمازته رقيقة جميلة وتنحنح قائلا بثقة ملوك:

- أتيت لأشكرك على الكعك كما أنني أحضرت لك الصينية، فقد خشيت أن أتركها للغد وتضيع وسط أثاثي المبعثر.
- كم أنت مراع، أشكرك على اهتمامك.

بعدما تبادلا الابتسامة كانت مايا ما تزال واقفة ترقب ما يدور دون أن تنبس بكلمة وما إن استدار الشاب للمغادرة حتى أوقفته رناد بقولها:

- صحيح لم أعرفك بعد على شقيقتي الصغرى!

جحظت عيني مايا في ذهول مما سمعته وأخذ قلبها يخفق بشدة، أحست بوجهها يلتهب.

- عمر، هذه أختي مايا...

التفتت نحو شقيقتها وقالت:

- مايا هذا هو عمر، جارنا الوسيم... أقصد الجديد!

عضت مايا شفتاها فور فهمها لما تلمح له شقيقتها ورمقتها بنظرات معاتبة إلا أن عمر قابل حديثها بضحكة خفيفة ومد يده نحوها مصافحا وقال:

- تشرفت بمعرفتك آنسة مايا...

تمسكت مايا بصمتها وبقيت تحملق نحو الفراغ متجنبة النظر اليه، واتسعت ابتسامته وزادت غمازته وضوحا عندما قال:

- همم، تبدين مألوفة لي.. هل التقينا في وقت ما من قبل؟

رفعت حاجبها الأيسر في تحد ورأسها بكبرياء كما تفعل الأميرات، بعدها نظرت إليه بغرور كأنما تقول "احذر فلصبري حدود!" إلا أن عمر أعجبه ما يحدث، أو ربما أراد أن يضاعف إحراجها فأضاف قائلاً في لهجة جادة وهو ينظر بشغف إليها:

- متأكد أنني رأيتك في مكان ما.. وضع يده على ذقنه مفكراً وراح يردد في همس مسموع "أين يا ترى.. أين.. أين.."

زفرت مايا وازداد غضبها وعزمت على إحراجه مثلما فعل معها فقالت بابتسامة ماكرة:

- أما أنا فلا أعتقد أنني رأيتك، فبصراحة، لم اذهب لحديقة الحيوانات منذ زمن!

وقد قصدت بذلك إهانته إلا أنه لم تختلج ولا عضلة من وجهه، مالت زاوية فمه بضحكة ساخرة ثم قال:

- لا داعي لترهقي نفسك، يبدو أنها جاءت بنفسها إليك.

وأشار بنظراته إلى بيجامتها ذات الأرنب ففتحت فمها بدهشة بعدما ذهلت لرده الإهانة وانسحبت إلى غرفتها غاضبة تلعنه في سرها أما رناد المسكينة التي لم تفهم شيئا مما حدث حولها فقد بقيت واقفة كالتمثال الساكن دون أن تبدي ردة فعل.

ارتمت على فراشها محملقة في الفضاء دون حركة، وبقلب منفطر حزناً من الإحراج، فقد وجدت نفسها محط سخرية لهذا الغريب الذي لا تعرف عنه شيئا سوى شكله الوسيم وبنيته القوية، وراحت تحدث نفسها قائلة في مشهد درامي "صحيح أنه يكبرك بسنوات قليلة كما يبدو إلا أن عقلك أكبر من عقله يا مايا، لذا لا تجعليه يرسل إليك طاقاته السلبية" اعتدلت في جلستها وأكملت مضيفة "فلتطرديه من عقلك، يمكنك فعلها.. شهيق.. زفير.." وبعد دقائق معدودة انتهت من تفكيرها وتأملاتها إلى قرار ليس لها نية في العودة منه، راحت تهز رأسها بالموافقة ثم قالت بصرامة " إنها فكرة سليمة!" وقد كان قرارها بألا تخرج نهائيا من المنزل أو تقوم

بالتطوع لفتح الباب على الطارق كما فعلت، لتجنب اللقاء به إلا في حالة الضرورة القصوى خشية الوقوع في مواقف حرجة معه.

في صباح اليوم التالي استيقظت مايا بمزاجها المعكر وكانت رناد قد استيقظت قبلها بنصف ساعة حيث وجدتها تجلس في الحديقة مستمتعة بأشعة الشمس الدافئة تداعب بشرتها وتخاطب أزهارها بهمسات خفيفة، ألقت عليها تحية الصباح بود إلا أنها اكتفت بالرد عليها بالابتسام فعرفت لحظتها أن شقيقتها تشكو من خطب ما فتنحنحت ونظرت إليها متسائلة بملامحها دون أن تنطق بكلمة فقالت رناد معاتبة:

- لا أصدق فعلتك يا مايا.

فتحت مايا فمها بدهشة وذهول كمن اتهم بجريمة وقالت:

- صباح يا صباح.. ماذا فعلت؟!

هتفت رناد مؤنبة متجهمة:

- عمر! المسكين قمت بإحراجه بشكل سيء ليلة أمس.

ارتسمت علامات الارتياح عليها عندما فهمت عتابها، أضافت:

- كما أنني لا أجد مبرراً لكرهك له..

فأجابتها مايا بنبرة حادة:

- أنا لا أكرهه، فقط...
- فقط ماذا؟

عادت إلى صمتها وهمست في نفسها "فقط لا أحس بالراحة بوجوده.." ثم رفعت صوتها وقالت بتحد:

- انسي، لا شيء، ثم لمَ تقولي عنه مسكين وأنت لا تعرفينه جيدا!
- أعرف أنه يتيم وهذا وحده يكفي لأقول عنه مسكين فالعيش دون أم ليس بالأمر السهل.

بلعت ريقها عندما سمعت ما قالته شقيقتها فلو علمت أنه يعيش لوحده لذلك السبب لما شبهته بالحيوانات، اقتربت منها بعدما عادت إلى رشدها وقالت:

- لم تقولي ذلك، وكأنك عشت ما عاشه! أنت على اتصال دائم بوالدتك.
- تقصدين والدتنا!

تنهدت رناد بعدما قامت من مكانها وأضافت:

- لا، لم أعش ما عاشه لكن كوني إنسانة يكفي لأشعر بما يشعر به.. فهذا ما يسمى بالإنسانية أليس كذلك؟

انصرفت بعدما أنهت كلامها وتركتها غارقة في شعورها بالذنب، دخلت مايا بعد دقائق من تلك اللحظة وأخذت تخطو مجيئاً وذهاباً حول نافذة الصالون والتي طلت على بيت "عمر" أخذت تفكر: "لا يمكنني ايذاء حشرة، فكيف لي بجرح مشاعر وكبرياء رجل؟" تتوقف لبرهة من الدوران حول نفسها لتضيف "هل أنت إنسانية يا مايا؟" استمرت بالمضي بخطواتها وراحت تهز رأسها بالموافقة وكأنما غريب طرح عليها السؤال وليس نفسها وفكرت في ضميرها الذي يتحاور ضدها في الحين ووجدت أنه من الصعب امتناع الاستماع له فلم تلبث حتى تبعت شقيقتها إلى المطبخ، وبعد برهة صامتة مصحوبة بقضمها لأضافرها خرجت فيها عن صمتها وطبعت على خدها بعفوية قبلة لطيفة قالت بعدها:

- ما رأيك في أن نعد بعضا من الفطائر التركية للغداء؟

التفتت إليها رناد باستغراب وراحت تميل برأسها نحو اليمين وتارة نحو اليسار كالميزان الذي يوشك على تحديد النتيجة قائلة:

- فطائر تركية؟ مم لنرى.. بما أنها سهلة الإعداد فلم لا!

سرت لموافقتها طلبها وباشرت الفتاتان في إعداد المكونات وقد حفظت رناد طريقة تحضير هذه الوصفة من إذاعة الطبخ الصباحية التي اعتادت انتظارها على الثامنة.

ذهولك عند اصطدامك بشخص يحب نفس الفرقة التي تحبها كفرقة بي تي إس وتطلقان على بعضكما البعض لقبا "أرمي" أو أن تجده أوتاكو مثلك ويتابع جميع الأنميات التي تحفظ كل مشهد منها أو أن يكون جيمر مثلك عاشق للألعاب الإلكترونية أو مخترق كهوايتك المفضلة هذا لا يدل فقط على الصدفة الجميلة، بل يدل أيضا أننا في تطور نحو فهم بعضنا البعض وعلى أننا بشر خلقنا من يد واحدة، جميع هذه الأشياء التي يراها البعض تافهة تكمن قوتها في الاتحاد.

أما إذا لم تكن تنتمي إلى أي مما ذكر فهذا لا يجعلك أفضل منهم أو أسوأ فلا بد من انتمائك إلى شيء ما، حتى لو كان بسيطا عليك أن تتعرف على نفسك أكثر لتجده، فجميعنا ننتمي لأن العزلة الطويلة قاتلة لخلايا عقولنا.

* * * * *

ما أن أنهيت تحضير الغداء دقت جرس الباب والتوتر يأكل جسدي حتى فتح عمر والدهشة تعلو وجهه، كنت أمسك بصينية زجاجية من الطعام الذي أعددته متجاهلة حرارتها المرتفعة ولوهلة ظننتها على وشك التشقق إلا أن رناد طمأنتني بأنها من الزجاج المتين أما هو فما زال يرتدي ملابسه السوداء وقد ذكرني هذا بالغراب، الطير الجالب للتشاؤم، وذكرني فيما اعتاد قوله والدي، لطالما نبهني من ارتداء الأسود لوحده فعتمته تجلب سوء الحظ... من يدري قد يكون سوء حظه جذبني إليه... نطق قائلا بصوته الرجولي الذي أربكني:

- يا للمفاجأة! أنظروا من جاء لزيارتي.

بللت شفتي المتشققة وأخذت شهيقا طويلا قبل أن أرد عليه قائلة:

- أحضرت لك الغداء مصحوباً بصفقة ربحية.

استقبلني في منزله الذي دخلته بعد صراع عنيف دار بين عقلي وقلبي، كان بارداً رغم دفء النهار أما أثاثه المبعثر فلم ألمح منه شيئا سوى الغبار المتطاير وما أثار ضحكتي تلك الورود البلاستيكية التي كانت موضوعة فوق الطاولة وكأنها وضعت لتزينها إلا أنها جعلت المنظر يبدو مضحكا بشكل ساخر.

بعد برهة خرج عن صمته ليقول:

- شقيقتك لطيفة... لم يكن عليها أن تتعب نفسها مرة أخرى.

تنحنحت بعدما قاومت الحرارة التي داهمتني قبل أن تصعد لوجنتاي وتفضح خجلي وقلت:

- هذه المرة... أنا من حضرتها.
- آوه... أنت!

نطق بهاته الكلمات والدهشة لم تغب عن وجهه مما زاد ذلك في ارتباكي ولتفادي الحرج واحتراق يداي تقدمت إحدى الغرف المغلقة وأمسكت بمزلاجها ثم قلت:

- هل المطبخ من هنا...

إلا أنه قاطعني بعدما طار أمامي بسرعة البرق ومنعني عن الدخول إليها وبتلبك قال:

- لا! كلا!! ليس من هنا بل على جهتك اليمنى.

أحسست أن هناك شيئا ما يخفيه، كسرّ غامض، لكن لم أعرف ما هو، التفت نحو جهتي اليمنى كما قال "قائدي" فبنبرته الجادة تلك أحسسته ألقى علي أمرا محتوماً في حين ما زال يمسك بمزلاج تلك الغرفة كمن يخفي كنزا مدفوناً أو سرا عميقاً...

دخلت المطبخ حيث أشار لي إلى مكان فارغ وضعت فيه الصينية وسط تبعثر الأشياء ولم أستغرب حينما رأيت فردة جواربه مرمية بين الملاعق فلا بد أن ترتيب الأثاث أرهقه أو لعلها هربت من بين ملابسه من شدة جوعها، تبعني ببطء ثم ما لبث أن استرسل قائلا:

- الآنسة مايا اعذري تسرعي لكن لم أتمكن من إسكات فضولي فهو يريد وبشدة أن يعرف عن صفقتك تلك على الرغم من أنني أخبرته بأن أيا ما ستقولينه لا شأن له به.

ابتسمت بتأدب حتى وإن لم تكن مزحته مضحكة فلم أرغب بزيادة الطين بلة وقلت:

- صفقتي بسيطة... أن نبدأ من جديد وكأنما تعرفنا اليوم.

تنهدت وبابتسامة مريحة أكملت:

- بل وكأننا تعرفنا في هذه اللحظة، حتى أنني سأتغافل عن رؤيتي لجوربك داخل المطبخ.

ختمت كلامي ثم مددت يدي بثقة لمصافحته وكانت ابتسامة خفية بادية خلف صرامته الساحرة وبعد أن لاذ بالصمت ملياً امسك بيدي برقة مقبلا وقال بصوته المغمغم:

- تشرفت بمعرفتك أيتها الآنسة ذات العيون الجميلة.

شردت في قسمات وجهه دون أن أدرك إفراطي في النظر إليه وبعد مهلة من الزمن لسعني صوت الخجل بداخلي فطأطأت رأسي نحو الأرض لأجد رابطا مشتركا بيننا، كان هنالك قرص مرمي وسط ملابسه المتناثرة لفيلم لطالما أعدت مشاهدته، التقطته في دهشة وقلت مذهولة:

- إنه...

"شرلوك هولمز!" قاطعني مسترسلا بهمس ساحر وأكمل قائلا فور ما لمح ابتسامتي.

• أجد نفسي مهووسا بسلسلاته... المحقق الذي لا يوجد من هو بمثل ذكائه، وبصراحة، أنا أنجذب نحو كل ما يخص الألغاز العميقة والجرائم الغريبة التي يكون سببها عبقري غامض!

أحسست بتحمسه المتدفق من عينيه كالنهر المتسرب وكلماته المنتقية بشغف وقد أثار ذلك إعجابي وريبتي في آن واحد وهتفت مازحة بنبرة تمثيلية درامية:

• حدد ما تقوله يا مستر "عمر" أيعجبك حل الجرائم الغامضة أم ارتكابها؟!

توقعت أن يضحك مما قلته أو يسخر منه على الأقل إلا أن ردة فعله أثارت ريبتي فقد عادت إليه قسماته الصارمة واكتفى بالتزام الصمت مطولاً فوجدت أنه من الأفضل أن أذهب قبل أن يزداد الوضع غرابة لكن قبل ذهابي استوقفني بابتسامة مناديا:

• ميس مايا!

استدرت بتباطؤ وانتظرت ما سيقوله لكنه اقترب مني وهمس في حنو:

• لم تسأليني إذا كنت موافقاً على صفقتك.

هتفت بين نفسي قائلة "آه ذكرتني" استجمعت جرأتي ودنوت منه ثم أردفت متسائلة:

• هل توافق عليها؟

هز رأسه بابتسامة ثم اخرج وردة حمراء بلاستيكية ممسكا بها وقد كان يخفيها عمدا خلف ظهره خشية أن أراها ورحت أضحك خفية فور رؤيتها فقد ذكرتني بالمشهد الساخر الذي رأيته بالداخل، تنحنح وقال بثقة بعدما مد الوردة نحوي:

- أقبل صفقتك بشرط أن تقبلي بدورك هذه الوردة مني.

أغمض عينيه لتفادي الحرج وأخذ ينتظر مني التقاطها وازداد ضحكي بعدما فكرت أنه إذا تجاهلت أخذها من يده فسيبقى مغمضا عينيه إلى أن يغفو في نوم عميق.

دخلت المنزل معانقة الوردة وكانت فرحتي تشبه فرحة الأطفال بملابس العيد فلم يهدني أحدا من قبل مثلها وما أن رأتني رناد حتى راحت تسخر بمكر قائلة:

- آويه هل استبدلتي الفطائر بالورود!

أخفيت فرحتي بصعوبة وتصنعت الصرامة ثم تنحنحت وقلت:

- كفاك سخرية حبا بالله... أصلا إنها بلاستيكية!

وللأسف فقد اتضح أن حيلتي في التهرب من سخريتها لم تنطل عليها فقد عقدت ذراعيها عند صدرها وقالت بنبرة ضاحكة صحبتها غمزتها:

- صدقا هذا العمر رومانسي!

هرعت إلى غرفتي قبل أن تحاصرني أكثر وعند هروبي سمعتها تقول "هل أشعل لك شموعا حمراء مثل لونها"

رحت أشم الوردة التي لا رائحة لها وأفكر فيما قالته رناد عن الرومانسية...

*****

فخ الرومانسية

أستغرب حقا من النساء على الرغم من كوني واحدة منهن إلا أنه وكما نعرف جميعنا، فلكل شخص تفكيره ومنطقه الخاص به ولأكون صريحة فجميعهن يثرن استغرابي لأني استغرب من كل الأشياء الطبيعية منها وغير الطبيعية.. الفئة المقصودة من كلامي هن تلك النساء اللواتي تركضن وراء ما يسمى بالرومانسية، تنتظرن أن تحدث لهم معجزات مثل أن يلتقين بشريك فيه جميع الصفات الكاملة التي يردنه، ثريا وسيماً يفهم المرأة ولا يخشى صرف أمواله على الهدايا الثمينة لإرضائهن، حينها فقط يمكنه الحصول على ما يريده منهن، حتى أن هناك فئة محددة تعيش في خيال أوسع، تركض خلف الرومانسية لوحدها ولو جاء أحد ما، حتى لو لم يملك فلسا ومنحها كل الرومانسية التي تريدها، فإنها في المقابل ستعطيه أي شيء دون مقابل حتى جسدها، وفي الجهة المقابلة لو كان شريكها هذا يمتلك كل شيء إلا الرومانسية وأراد إمساك يدها ليعبر عن شعوره اتجاهها بطريقته الخاصة حينها ستعتبره تجاوز الخط الأحمر للحدود وستسمي هذا الفعل بالتحرش وتكرهه وتجعله الملام على كل ما أصابها من مصائب حتى قبل أن تعرفه.

ربما يكون من مكر الحياة أن يصطدم الحب بمن لا ينتظره وتقع الرومانسية فوق من لا يتوقعها.

* * * * *

توقفت تستريح بعد أن خطت بعض الأسطر على حاسوبها حتى فاجأتها رسالة جديدة من لا أحد يقول فيها:

- أراك تتحدثين عن الرومانسية! من سعيد الحظ الذي خطفك مني يا ترى؟

شهقت مايا في غضب خمس مرات فكان صدرها يرتفع وهي تشهق ثم يهبط وهي تزفر وبعد أن عاد إليها هدوءها طبعت مجيبة:

- هذا ليس من شأنك!
- أواه، ما الذي تقولينه هل نسيت بسرعة الاتفاق الذي بيننا؟

أمسكت أعصابها بصعوبة خوفا من أن تقول له شيئا يعود عليها بالضرر لاحقا وقالت:

- إنه مجرد موضوع تطرقت إليه لا غير.
- مايا... مايا... احذري فقد نبهتك مسبقا عن كرهي الشديد للكاذبين!

قرأت رسالته وهي تلعنه سراً بداخلها فأضاف قائلا:

- لكن لا تخافي فأنا أعرفك جيدا كما أعرف أنك لا تمتلكين الجرأة الكافية للكذب علي... هل انا مخطئ؟

ابتسمت بسخرية مما قاله ثم أجابته بعدما تمالكت رباطة جأشها.

- ليس لدي أي دافع يجبرني على الكذب لا عليك ولا على غيرك.

أرسلت ما كتبته ثم أغلقت الحاسوب في منتصف حديثهما وبعد قليل غادرت غرفتها وراحت تتساءل عما سيفعله بعمر اذا اكتشف وجوده وتيقنت أن قائمة

أحبائها تزداد يوما بعد يوم وتتضاعف الخطورة كلما ازدادت، وما أن دلفت ردهة الصالون حتى خيل اليها انها لمحت طيف طويل يقف عند النافذة بشكل مرعب فهرعت اليها مسرعة بقلب مفزوع وبأنفاس منقطعة وفور ما أزاحت الستائر بشجاعة أسد اذ بأنفاسها تعود اليها مجددا بعدما لم تجد شيئا هناك، بعدما استرجعت أنفاسها راحت تطل بأعينها المشعة إلى السماء التي أخذت تتحول ألوانها بميل الشمس إلى المغيب، وأخذت تتأمل بعدها منزل عمر مفكرة فيما رأته عنده من اثاث مبعثر، وخطر ببالها خاطر في أن تذهب لمساعدته إلا ان إحساس الخجل المخيم عليها منعها من ذلك، وفي تلك اللحظات خيل لها انها لمحت طيف أسود كلياً مر من أمامها بسرعة البرق فدهشت لما رأته وفتحت النافذة على مصرعيها مطلة من خلالها بقلب يتملكه الفزع وسرعان ما عاد خفقانه للطبيعي بعد دقائق مرت لم تجد فيها شيئا فأخذت تحك عينيها مرتابة...

غمغمت رناد التي كانت تقف خلفها قائلة في حيرة:

- ما الذي تفعلينه عندك يا مايا أتبحثين عن شيء ما؟

استدارت فور سماعها واستطردت في ارتباك:

- كلا! لا شيء... لم يضع مني شيء.
- من يراك في هذه الحالة يقول عكس ذلك.
- أية حالة؟ وما الذي تقصدينه؟

ضحكت بمكر وأجابت:

- من الواضح أنك تبحثين عن عمر يا مايا!

فتحت مايا فمها لترد بعدما صدمتها كلمات شقيقتها التي لم تتوقعها إلا أنها قاطعتها بحدة مكملة:

- ولا داعي لتنكري، أعرف أنه جذب انتباهك فبغمازاته تلك. من تستطيع الإفلات من جاذبيته!
- ما الذي تقولينه حبا بالله يا رناد! لو يسمعك زوجك سيظن أنك المتيمة به.

جلست فوق الكنبة بعدما هربت منها أساريرها وغمغمت في أسى:

- أي زوج تتحدثين عنه أتقصدين الذي لا يعيرني أي انتباه وكأنني تمثال جامد أمامه أو شبح يمر بجانبه.

أخذت مايا تتأمل شقيقتها طويلا وعلى قسماتها أمارات التردد، هزت رأسها وقالت:

- بصراحة لا أعرف كثيرا عن الأزواج فلم أتزوج من قبل، لكن أليس جميع الأزواج هكذا؟ أقصد أن شمعة الحب تنطفئ بعده وتشعل بعدها شموع المودة والرحمة.

أخذت رناد تضحك بفتور على ما قالته شقيقتها الصغرى التي ما تزال تنظر إليها وكأنها ما زالت في الخامسة من عمرها ثم أخذت نفسا عميقا وقالت بعدما استعادت هدوءها:

- انطفأت جميع شموعنا منذ مدة من الزمن، لا هو ولا أنا قادران على تصديق هذا... أحيانا أفكر في ما إذا كنت أخطأت الإختيار ولو كان زوجي شخصا آخر فهل كنت لأكون سعيدة معه!

- التفكير بهذه الطريقة لن يفيدك صدقيني، بل سيجعل الأمور بينكما تتدهور أكثر لا غير.

أخفت رأسها بين ركبتيها بأسى ثم ما لبثت أن رفعته وهي تنظر إلى مايا وقالت:

- سأخبرك شيئا، أنا لا أخفي الحقيقة عن نفسي كمعظم الزوجات لأنني أعلم جيدا أنني السبب في ما يحدث معي.
- لكن ألست تفعلين مثلهم الآن؟ تجلسين بأسى وتلومين نفسك على خطأ لست فاعلته.
- ومن قال!

راحت مايا تدقق النظر فيها ملياً وكأنما تقول "ما الذي تقصدينه" فاسترسلت قائلة:

- ما حدث يا شقيقتي هو أنني تنازلت دوماً عن حقوقي... في بداية الأمر كان إذا حدث نزاع بيننا ألتزم الصمت والهدوء وأتناسى الحزن الذي سببه لي ثم استمريت على هذا المنوال، يخطئ ولا أعاتبه، يجرحني باستمرار وأسامحه باستمرار إلى أن تمادى وبات يحرق جروحي بتجاهله الدائم لي.

شعرت بالأسف لأجلها واقتربت منها بهدوء ثم ربتت على كتفها وعانقتها بحنو دون أن تتفوه بكلمة بينما تمسكت بي كرضيع يعانق أمه بعد فراق طويل.

قد يحدث تنازلك الأول عن حقك حفرة قاتلة تخطو إليها في كل مرة تتنازل فيها عن حقوقك تدريجياً وهذا نتيجة لأسباب كثيرة ومنها اختيارك الخاطئ للأشخاص والإفراط في اهتمامك بمن لا يستحقون لكن السبب الرئيسي يكون في تقليلك من شأن نفسك.

أحيانا نكتشف أننا ضحينا بأشياء قيمة من أجل أشياء رخيصة جدا.

*** * * * ***

لماذا يتغيّر الناس بعد الزواج؟

هناك أناس يتغير طبعها بعد الزواج لعدم إيجاده الصفات المناسبة في شريكه واصطدامه بشخصية لم يكن يتوقعها ولم يعرف كيف انتهى به المطاف مجبراً للعيش مع هكذا شخصية تشاركه الحياة، لكن ليس جميعهم يتغيرون فبعضهم يظهر على حقيقته.

هناك من يحاول كسب قلب من يحب عبر تصرفات مبتكرة وحينما يضمن أنه كسبه وبات ملكه يعود ثانية إلى شخصيته الأولى مما يؤثر ذلك على علاقته بمحبوبه، لذا قبل أن تقع في هذه المكيدة عليك أن تتعرف على أعماق شخصية الشريك الذي تنوي إكمال حياتك معه وإذا لم تتوافق مع شخصيتك فعليك بالانسحاب من عملية الزواج أما إذا وجدت ذلك صعبا عليك فتذكر أنه لا يوجد أصعب مما ينتظرك إذا لم تنسحب.

*****

حل يوم جديد أحست فيه مايا بالحرية فقد بدأت تتناسى كونها رهينة لمجهول ارتكب جرائم لا تعرف غير ربعها، استيقظت على صوت الراديو الذي كان ارتفاعه متعمدا من شقيقتها وما لبثت أن ركضت إليها متسائلة عن سبب ما تفعله فراحت تجيبها بابتسامة ماكرة:

- لم تتأخري في الاستيقاظ؟ الحب بانتظارك.

بذهول وحيرة وضعت مايا يدها على جبين شقيقتها واسترسلت بنبرة يملؤها الفضول:

- ماذا حدث لك يا رناد هل يعقل أن تكوني مريضة...

اقتربت منها ثانية وأعادت التحقق بلمس جبينها ثم اردفت:

- لكن حرارتك غير مرتفعة... هل تريدين أن نذهب إلى الطبيب؟ ها؟

قلبت عيناها بتململ وردت عليها قائلة:

- كفاك سخرية واتبعيني!

وقبل أن تنهي كلامها كانت قد جرتها بالفعل معها إلى الصالون وما لبثت أن أطلت من نافذته التي انبعث منها ضوء الصباح وقالت:

- أنظري، هل ترين تلك النبتة المقابلة؟

وللحظة ظنت أن وضع شقيقتها خطير فما رأته مقابلها لم يكن نبتة كالتي تراها عادة، بل كانت شبيهة بعشب مسطح غير قادر على النمو وما زاد من استغرابها

عمر الذي كان يرشها بدلو يملؤه الماء فظنت أن الجميع قد أصيب بالجنون هذا الصباح، هزت رأسها بذهول وقالت:

- ما الذي يحدث هنا يا رناد ما هذا الذي ننظر إليه؟!

فأجابتها ضاحكة:

- منذ تقريب ساعة وهو على هذه الحال، يبدو أنه بانتظار أحد ما يدعى "مايا".

- ما الذي تلمحين إليه يا رناد حبا بالله دعك من هذه الخيالات لا بد أنه أراد أن يستمتع بجمال طقس اليوم لا غير.

- لا لا لا... لا تنكري! فقد رأيت نظراته اتجاهك ومتأكدة أنك رأيتها أيضا... كما أنه أعطاك وردة حمراء اللون وهي تدل على الحب والإعجاب.

- ما هذه الافتراضات التي تستنتجينها بنفسك؟ هل تقولين إنه لو أعطاني زهرة ذات لون أصفر مثلا فهذا يعني أنه يبغضني!

- صدقي أو لا، أنت حرة، لكن هذه نظرية علمية، لا تغيري الموضوع. اسمعي عزيزتي تعرفين كم أحبك ولا أريد لك إلا الخير، لذلك فكري جيدا ولا تخطئي نفس خطئي...

صمتت قليلا ثم اقتربت منها وبأناملها الرقيقة أبعدت عن وجهها خصلة من شعرها كانت تعيق نظرها وأكملت:

- وأيضا، ألا تريدين أن تكملي ما تبقى من حياتك مع شخص يحبك كما أنت دون شروط ولا يفرض رأيه عليك فقط لكونك امرأة؟

رفعت حاجبيها بعدما ابتعدت عنها خطوة للوراء وقالت بدهشة:

- مهلا! ما قصدك؟! وما العيب في كوني امرأة؟!
- آه بدأت تتحدثين كما لو أنك نزلت من كوكب الزهرة أو كوكب آخر ولا تعرفين شيئا عما تعانيه الأنثى في كرتنا الأرضية!

أمالت برأسها نحو اليمين وبحركتها تلك غطى شعرها كتفيها ثم أردفت:

- إذا كنت تتحدثين عن المعتقدات الذكورية فاستمعي لي ولا تعطها أية أهمية لأنها ليست عائقا يستحيل تجاوزه، فمن تريد أن تحلق لن تطلب جناحان وتنتظر وصول طلبيتها بل تصنعهما بأنفسها.

* * * * *

للبشر أنانية لا محدودة، أنا أنانية وحتى أنت يا من تقرأ أناني.. وبما أننا تحدثنا في السابق عن "الرومانسية" سنتحدث اليوم عن "الحـــب".

جميعنا نتمنى أن يشاطرنا شريكنا الحب دون شروط، نريد من ذلك الحب الساحر الذي في مخيلتنا أن يحدث ويصبح حقيقة، لهذا نحن أنانيون، كيف ننتظر من غريب أن يحبنا كما نحن بلا شروط بينما نحن من نفرض الشروط على أنفسنا، "لو كنت أملك ما يملك فلان لأصبحت أفضل وأحببت نفسي" أو "لو كنت ثريا لوثقت في ذاتي" أليس هذا ما نفكر به جميعنا؟ هذه تعتبر أنانية ولا يحق لأحد أن يعامل نفسه بهذا الشكل لأننا لسنا مجرد آلات تتبدل قطعها من وقت لآخر وتصبح أفضل بل نحن أعظم من ذلك بكثير فقد خلقنا ليدور الكون حولنا لا أن ندور حوله.

أن تحب نفسك اليوم أفضل مائة مرة من انتظار من يحبك غدا.

وما العيب في كوني امرأة؟ الأنثى أنواع، والأنثى القوية هي من تقرر ما هي عليه لا العادات ولا المجتمع قادران على فرض أنفسهما عليها، كثيرا ما يلجأ الذكر إلى الانتحار ومن يرده عنه هي أنثاه...

المرأة لا تريد أي شيء سوى أن تحصل على ما تستحقه وهي تستحق كل السعادة ومن يرى عكس ذلك فهو أعمى عن رؤية الحقيقة.

* * * * *

وقفت قرب باب هذا العمر دون أن أدري أية ظاهرة خارقة للطبيعة أحضرتني عنده وتذكرت دفع رناد المستمر للمجيء عنده، ما إن استدرت لأعود أدراجي تفاجأت بقطرات الدماء المتناثرة على أرضية الطريق التي دل لمعانها على حداثتها وما أثار الرعب في داخلي الحرف الذي شكلته بشكل مقصود فقد كان نفسه أول حرف من اسمي ولم أشعر بشيء حتى رأيت يدي ترتعد خوفاً دون أن أملك القدرة على إيقافها وكأنني غير مسؤولة عن جسدي أو ردود أفعاله وطارت بي خيالاتي لأذعر للإفتراضات، مثل أن تكون هذه رسالة مقصودة من "لا أحد" لإيخافي إلا أنني طردت ذلك الاستنتاج، فمن غير الممكن أن يكتشف مكاني بهذه السرعة وفي هذا الوقت القصير!

في تلك اللحظة المليئة بالتوتر لمحت رناد ملوحة من النافذة تحثني على عدم العودة والتقدم لطرق بابه بحركات بهلوانية مضحكة وما أن عدت إلى وعيي رحت أفعل المثل مهزة براسي نفياً كالمجانين وسط الشارع رافضة الخضوع لأوامرها التي شجعها قلبي وفجأة توقفت عن التلويح وارتسم الفزع على محياها واختبأت بسرعة فائقة خلف ستار النافذة حتى باتت غير مرئية وكأنها لم تكن، وفي تلك اللحظة التي أكلتني فيها الحيرة سمعت صوتا خلفي يقول بنبرته الخشنة:

- آوه مايا هل هذه أنت؟

استدرت بسرعة ورحت أرقب وجهه متعمقة في قسماته ولكنه اندفع نحوي دون سابق إنذار، واستطرد قائلا:

- ما الذي تنتظرينه عندك؟ ترى هل فكرت بالمغادرة بعد ما جئت إلى بابي؟

هززت أكتافي غير مبالية بعدما أكلني الإحراج وقلت:

- كف عن السخرية جئت لمساعدتك لم عساي أتراجع عن ذلك.

وما إن أنهيت كلماتي حتى أسرعت لأدخل منزله قبل أن تفضحني نظراتي ولم أتوقع أن أراه مرتبا بذلك الشكل الباهر في هذه المدة القصيرة، فالأشياء التي رأيتها مبعثرة آخر مرة منعتني من رؤية جمال المنزل، لحق بي بعدما أغلق الباب خلفه وقال بنبرة تشي بالفخر:

- ما رأيك ميس مايا هل أعجبك ذوقي في تنظيمه؟

على الرغم من أنني ذهلت لشكله الأخاذ وكأنما سيدة من القرن الماضي قامت بتنظيمه على ذوق زوجها بيكاسو إلا أنني لم أرد أن أجعله يحظى بلحظته من السعادة وأجبت مغمغمة:

- ممم... ليست إهانة لذوقك لكن لو كانت المنضدة موضوعة على أيسر الغرفة لباتت واضحة أكثر للزوار وأعطت رونقا جميلا.

ولن أنكر أنني سعدت بملامح الحيرة التي اعترته بعدما كدت أن أشككه في ذوقه لكن سرعان ما انتبه لحيلتي وأجابني بمكر قائل:

- للأسف الأناقة ليست متاحة للجميع.

صعقتني كلماته التي ألقاها علي كمن يلقي القمامة على رأس القطة وأسرعت خلفه بعدما تركني مصعوقة ودخل غرفته، كانت بسيطة الشكل مبعثرة بعض الشيء، تقدم نحو مكتبته التي جعلها خلوها من الكتب تبدو كالخزانة البالية وراح يلتقط

كتبه المبعثرة من على الأرض واحدا تلو الآخر ثم ما لبث أن ألتفت نحوي وقال بابتسامة باهتة:

- هل ستكتفي بمشاهدة عضلاتي؟ تعالي وساعديني.

مرت دقائق قبل أن أكتشف أن هذا الذي جعل قلبي يضطرب مهووس بالنظافة ودقة التنظيم فقد حثني على تنظيف الكتب قبل ترتيبها وعندما لم أفلح في ذلك جعل ينظفها بنفسه وبقي دور ترتيبها علي، ولن أنكر أنني أستمتع بهذا الفعل، شعور غريب بالراحة يجتاحني وكأنما وجدت ضالتي معه... مهلا لحظة هذا كتابي المفضل!

- "خدعة الظنون"! لم أكن أعتقد أنك تحب هذا النوع من الكتب.

توقف عن التنظيف وأخذ يحدق به لبرهة صامت وأخيرا قال:

- لم أقتنه بنفسي، استلمته كهدية.
- آه، هدية! لا بد أنه شخص يحبك كثيرا فهذا كتاب مميز.

ها هو ذا يصمت ثانية تاركاً حيرتي تحوم في الغرفة، لعله يفعل هذا عمدا لإحراجي ولتشكيكي في نفسي؟ فما قلته ليس بالشيء الذي يجعل عيناه تكتسي بتعابير الأسى كالتي عليها الآن.

بعدما غاص في لجة من الشرود المصاحب للصمت سمر أعينه نحوي وقال بنبرة هادئة:

- كان هدية من والدي -رحمه الله-.

آه، عمر. كلماتك جعلتني أستمر في التحديق بك دون قيود، شيء ما يمنعني من إزاحة نظري بعيدا عنك وقلبي يحثني على الغوص داخل عينيك لأرى ما فيهما من أسرار، يقال أن أهم ما يجمع غريبان أشياء مشتركة تسبب في محو رابط الغرابة بينهما وتحوله إلى رباط ملون بالحب على الرغم من أنها أشياء بسيطة كأغنية متألقة ذات كلمات يعتبرها كل منهما تتحدث عنه أو فيلم رومانسي كانت غاية مخرجه مادية عكس تسببه، أما ما يجمع بيننا فهو أقوى رابط، إنه ماضينا الحزين.

- بصراحة أحسدك... فأنا ووالدي لم يتسن لنا تبادل هدايا كالكتب قبل أن تصعد روحه.

بعدما فتح فمه باستغراب قال:

- حقا ولا مرة؟!

هززت رأسي بالموافقة مع ابتسامة دافئة ارتسمت على وجهي فور ما سرقتني الذكريات وقلت:

- نعم لكنه أهداني أكثر ما كنت أحبه وقتها.
- وما هو؟
- الأزهار... كنا نغرسها معا وننتظر نموها ولم نكن نسمح لأحد من العائلة أو خارجها بقطفها.
- هذه قاعدة رائعة، ما سببها يا ترى؟
- وهل هذا سؤال! تخيل أن تنظف مكتبتك هذه وترتبها ثم تتركها مهملة دون أن تقرأ منها ولا كتاب كيف يكون شعورك حينها؟

- حسنا فهمت وجهة نظرك وقد أقنعتني فعلا فلا يمكنني تجاهل الكتب وهي تنظر نحوي بإغراء.

بينما عدنا للترتيب حدث ما لم يكن في الحسبان إذ بي أمد يدي نحوه لألتقط الكتاب التالي لترتيبه حتى تلامست أصابعنا والتقت أعيننا في تلقائية، وقبل أن أسمح لقلبي بالغرق سحبت يدي بحزم وكأنني خشيت من لسعة أفعى، اجتاحني شعور غريب حيث اقشعر بدني وشعرت باهتزازه وكأنما ضرب زلزال ليؤثر في جاذبيتي وحدي، وانطلق صوتي دون أن أشعر قائلة:

- أوشكنا على الانتهاء بسرعة ولم أشعر بالوقت.

ابتلعت ريقي خشية أن يلمح توتري ورحت أتحسس رقبتي التي أحرقتها حرارة مشاعري كمن يكمد جرحه بالثلج، إلا أنه لم يتفهم وضعي الحرج والتقط يدي ثانية بكامل لطفه... أيعقل أن يحصرني في وضع كهذا! لا لا يعقل!

تشبث بها بكلتا يديه وأخذ يمرر أصابعه الرقيقة فوقها بحنو فزاد خجلي واحمرت وجنتاي فأنا لم أسمح لأحد من قبل بلمسي، حاولت أن أجذب يدي ثانية إلا أنه أصر على عدم إفلاتها فاستسلمت وسألته ببلاهة:

- ما الذي تفعله!

نظر إلي بإمعان بنظرات حنونة وكانت عيناه واسعة لدرجة جعلت رموشه تلامس حاجبيه وفي شيء من الكوميديا سألني قائلا:

- هل وقعت في الحب من قبل؟

تنهدت بعدما أيقنت أن ما خشيت حدوثه يحدث في هاته اللحظة بالفعل حيث فتح معي الموضوع الذي أملك حساسية قوية ضده وهو "الحب".

أحسست بدفئه ينتقل إلى جسدي ببطء عبر يديه، هززت رأسي نفياً دون أن أعطيه إجابة لسؤاله مكتفية بالتزام حقي في الصمت حتى قال وفي صوته رنة أسى:

- أنا فعلت، إلا أنني لم أكن موفقا فيه.

حملق في وجهي مليا كأنما يريد أن يقول لي شيئا مهما ولكن ما لبث أن سكت، ولتجاوز ذرات الحرج المتناثرة في الغرفة تنحنحت وقلت واثقة:

- برأيي أن الحب كلمة لطيفة اخترعها الأنانيون للتغطية عن جرائمهم.

ضحك بخفة وسألني قائلا باستغراب رفع معه حاجبه الأيسر:

- للتغطية عن جرائمهم؟ أية جرائم تقصدينها!
- أتحدث عن التملك. أوليس التملك جريمة يعاقب عليها؟

ازداد استغرابه وارتفعت ضحكته غير مصدقاً لما أقوله وأكملت غير مكترثة:

- إلا أن الفرق الوحيد بينها وبين باقي الجرائم أن الكارما من تكون مسؤولة عن معاقبتهم وليس القانون.
- ما تقولينه حقا...
- مدهش؟ مذهل؟ راااائع؟

قابلني بابتسامة دافئة وقال بنبرة اصرار:

- بل غريب!

تنهد بعمق بعدما تأملني ملياً وأخيرا قرر أن يستجمع شجاعته ويطلعني بما أرادت ملامحه إخباري.

- آخر مرة أحببت فيها جعلتني أتيقن أنني لن أحاول مرة أخرى لكن عندما رأيتك شعرت بشيء لم أشعر به قط وتيقنت أنني لم أعرف الحب الحقيقي من قبلك.

لطالما آمنت بأن الرجل عليه أن يتصرف كما يملي عليه عقله لا قلبه لكن ما يقوله لا يتناسب مع شخصيتي وليس هذا هو ما يقلقني بل دقات قلبي المتسارعة التي تجبرني على التخلي عن معتقداتي وصوت بداخلي يحثني على فعل أشياء مجنونة لا أحب الإفصاح عنها، في لحظة اندفاعه للاعتراف بحبه المتسرع والذي أجده غريباً بشكل جميل لم أستطع أن أفعل أكثر من الاستمرار في تجاهل النظر إلى عينيه، يقال إن المرء يحتاج إلى جرأة أسد عند لحظة بوحه بمشاعره، ترى لو انصرفت في منتصف اعترافه فهل سيأكلني بأسنانه الحادة؟

- مايا لم تصمتي... رجاء قولي شيئا غير الصمت.
- ما الذي تريدني أن أقوله؟
- أحبيني!

لقد صدمت بكلامه، لم أتوقع هذا الرد منه أبدا، اعتدلت في وقفتي ثم قلت بحزم:

- كفاك سخرية حبا بالله، أصلا، هذا ما كنت أحدثك عنه ألا ترى؟ إنه حب التملك!
- أنت جبانة.
- عفوا عفوا؟!

- هذا صحيح، أنت جبانة لأنك خائفة من أن تستسلمي لمشاعر الحب التي تجتاحك!
- ومن قال لك يا أستاذ أن ما أشعر به هو الحب؟
- لا داع للإنكار، فنظراتك أخبرتني بكل شيء يا مايا!

ماذا يحدث لي؟ أشعر وكأنني هزمت في حرب أهلية، نظراته الصامدة التي يقوم بتعريتي بها تكشف كل جزء من عقلي لدرجة قد تصيبني بالزكام...

عندما لم أجد في نفسي أي استعداد للرد على اعترافه غادرت مسرعة إلى البيت دون أن أنطق بكلمة، بعدما دخلت خلسة متجنبة ثرثرة رناد رحت أذرع الغرفة مفكرة بما دار بيننا من حديث وعبثا رحت ألوم مشاعري المبعثرة فهذا غير منطقي عرفته قبل يومين فقط، شيء غير صحيح يدور حولي ورغبة قوية تجتاحني للاستفراغ.

*****

الحب كلمة لطيفة اخترعها الأنانيون للتغطية عن جريمة التملك

عندما نفكر بالسعادة يرافقنا التفكير بالحرية لأن السعادة والحرية كلمتان جميلتان تلتقيان لتنسينا أحزاننا وتطير بنا إلى عالم لطالما تمنته نفوسنا، كذلك الحب كي يكون حقيقيا ونشعر بحلاوته يجب أن تصاحبه الحرية فلا وجود لحب مشروط أليس كذلك؟

لكن ماذا نقول عن أولئك الذين يعشقون العبودية، ليست عبودية الإله، بل عبده! لا أعتقد أن هنالك قول مناسب للتعبير عما هم فيه سوى ذاك المثال القديم الذي يقول "لي يحب الذل الله يخليه فيه"... يا ترى هل كان لدى ناس زمان آلة السفر عبر الزمن ليخترعوا كلمات عميقة كتلك؟ أم أن طباع الأشخاص لا تتغير؟ أيعقل أن نكون في دورة البعث أي أننا نفس أجداد أجدادنا! عندما أفكر في ذلك أجده ممكنا، لكن من غير الممكن أن أكون محبة للتملك أو للعبودية لأني وبطبيعة الحال لست راعية أو غنما.

* * * * *

دقت رناد الباب وانتظرت طويلا لكي تفتح لها مايا التي كانت غارقة في أفكارها لدرجة فقدت فيها الإحساس بالزمكان، وما إن دلفت الغرفة هتفت قائلة:

- مايا ظننتك لم تأت بعد، كم مر من الوقت على حضورك.
- ليس بالكثير... على ما أعتقد.

صمتت قليلا ثم ردت مسترسلة:

- إذا...

اتسعت أعين مايا وهي تتطلع إليها باستغراب، مدعية أنها لم تفهم مقصدها فابتدرت رناد قائلة:

- حدثيني كيف كان اللقاء؟

زفرت بتململ بعدما رأت تحمساً من رناد للخوض في هذا الحديث فقالت بغير اكتراث:

- تعرفين... عاديا.
- وفيما كنتما تتكلمان طيلة هذا الوقت؟
- لا شيء فقط عن الحياة.
- لا تفعلي هذا يا مايا حبا بالله يكاد الفضول يأكل أمعائي.
- ماذا تريدين أن تعرفي، لم يكن موعدا غرامياً!
- قولي ما شئت لكنني أختك ويمكنني أن أعرف من ملامحك إن كان موعدا أم لا.

- ما الذي تحاولين ايصاله؟ أتعرفين شيئا، انسي الأمر.

ابتسمت رناد لتريحها قائلة:

- أعرف أنك تخفين عني شيئا ما لكنني سأتغاضى عن الأمر هذه المرة فقط لأنني جائعة وأخشى أن تبرد اللازانيا.

ابتسمت مايا هي الأخرى بدورها ثم قامت من مكانها وأخذت تمشي بخطوات بطيئة وكأنما تنوي على شيء ماكر ثم ردت بعفوية وانطلقت بعدها مسرعة:

- لكنك لن تسبقيني في ذلك!

***

الأبيض لا يدل على الخير والأسود ليس دليلا على الشر

هكذا هم البشر لا يمكنك أن تحكم على مظهرهم الخارجي، وأحيانا حتى دواخلهم قد تظهر لنا عكس حقيقتهم، ما علينا أن نفعله هو تعلم عدم إطلاق الأحكام فما نحن سوى بشر على الرغم من أنني أقدر جنسنا وأعرف أهميته إلا أنه دائما ما يوجد ما هو أعلى.

بعدما انتهت الفتاتان من تنظيف أطباق العشاء خرجت مايا إلى الحديقة لتستمتع ببرودة الهواء العليل، بتراخ وبتباطؤ رفعت رأسها بعدما استغرقت في تأمل ما حولها من أشياء وإذ بها ترى النجوم اللامعة مومضة متلألئة وكأنها من نظراتها تقرأ ما تفكر به...

من خلق الخالق؟

هذا السؤال الذي لطالما وجدت صعوبة في استيعابه، حان الوقت أخيرا للتعمق فيه، وجدت أن جوابه أبسط منه... الجواب بسيط فلا خالق للخالق لأنه موجود منذ البداية ولإيضاح ذلك أكثر علينا أن نتمعن في معنى "البداية والنهاية"

هل يمكن لمخلوق أن يخلق خالقا؟

هذا لا يصح أليس كذلك فمن غير الممكن حدوث ذلك لهذا لا توجد بداية ولا نهاية للخالق لأنه خالقهما.

كانت نافذة غرفة المعيشة التي تطل على الشارع مفتوحة ينفذ خلالها ضوء القمر وبرودة الهواء مضت لغلقها ووضع حد لبرودته فتفاجأت بعمر يجلس عند عتبة بابه شاردا بذهنه وفور ما رأته سافرت بها ذاكرتها إلى اللحظة الدافئة التي أمسك فيها بيدها واعترف بما لم تتوقعه فدق قلبها بعنف لم تشهده وأحست بدوران الأرض من حولها دون أن تدري إن سبب ما يحدث معها هو الحب فقد خيل لها لوهلة أنها أصيبت بمرض تجهل أعراضه، في تلك اللحظة الشاردة رفع عمر رأسه ليجدها تنظر إليه بعينين لا تقوى على إبعداهما عنه فأصابتها لسعة هواء عنيفة ساعدتها في

الإبقاء على كبريائها فتراجعت نحو الوراء متجاهلة نظراته وأقفلت النافذة بإحكام مسدة عندها نسيم الهواء وعمر معه.

تنهدت بحرارة بعدما طردت صورته من عقلها وخطت نحو غرفتها بثقة وقبل أن تدلف إليها رن هاتفها وارتسم على الشاشة رقم لم تعرفه فرفضت المكالمة واستكملت مشيها، رن الهاتف مجددا فانتفض جسدها وقد توقفت عن المشي وهي تحدق إليه، التقطته من جيبها بيد مرتجفة ولم تكن لتجيب على المكالمة لولا أن رنين هاتفها بقي متواصلا، انتظرت أن تسمع صوته لتعرف من المتصل لكنه التزم الصوت طويلا فقررت إنهاء هذه اللعبة، ثم أجابت:

- من معي؟!

لكن لا شيء...

مجرد صمت قائم ولا حتى صوت تنفسه، في تلك اللحظة خطر ببالها خاطر، وبالرغم من أنها تمنت أن تكون على خطأ إلا أن ما خطر ببالها صحيح، توجهت مسرعة إلى حاسوبها بعدما أقفلت الهاتف وفور ما قامت بتشغيله وصلتها رسالة من "لا احد" يخبرها فيها أنه اشتاق لصوتها الطفولي وسُر لسماعه، حينها أدركت أن حجم الورطة التي هي فيها كبير ولا مهرب منه.

- من أين لك برقم هاتفي؟

صمتت لبرهة بعدما زفرت بغضب ثم طبعت على لوحة المفاتيح قائلة:

- أتعرف شيئا... انس، لا تأبه لسؤالي فأنت في كل مكان وتعرف كل شيء أليس كذلك؟!
- أوه مايا... مايا... عزيزتي كم تتعلمين بسرعة!
- متى ستنتهي لعبتك التافهة وتتركني أعيش بسلام؟

أخذت تقضم أظافرها منتظرة رده فكان كالآتي:

- يبدو أنك لم تعودي تخافين مني، ماذا حدث هل أكلت قلب أحدهم؟

"إذا اضطررت لأن آكل قلباً فسيكون قلبك أيها الوغد!" تمتمت بينها وبين نفسها قائلة بغضب واشمئزاز ثم ما لبثت أن كتبت قائلة:

- اسمعني جيدا، أنا لا أخاف منك ولا من غيرك، ما الذي يمكنك أن تفعله؟ هل ستقتلني؟ أنا لا أخاف من الموت فكلنا سنموت، إن ليس اليوم فغدا!

غمرها شعور بالراحة والحرية وأحست بأنها أقوى من أن تستسلم لمخبول مثله لكن سرعان ما تزعزعت ثقتها بعدما قرأت ما قاله.

- هل تريدين مني أن أحدد لك موعدا مع الموت؟

اكتفت بالصمت والانتظار، فقد بدا أنه لم ينته من كلامه، وبالفعل كانت محقة.

- معرفتك لموعد مماتك أفضل من العيش دون أن تعرف إلى متى يطول عذابك في الحياة.

رددت مرارا وتكرارا ما قاله بداخل عقلها ولم تدر إن كان يخاطبها أم يخاطب نفسه أم أنه يهددها بشكل غير مباشر!

- هل تعرفين أنه من بين الأشياء التي أحبها استمتع بمشاهدتك وأنت نائمة، حتى إنني أستمتع بذلك أكثر من استمتاعي بلعب الدومينو.

*****

ضحكت بسخرية فقد باتت جميع خدعه واضحة كل ما يتفوه به كذبا فهو لم يشاهدني نائمة ولا حتى يعرف أين مكاني يستمتع بإخافتي لا غير لكنني أذكى منه، فقد بت أعرف خدعه!

- كفاك كذبا، فأنت لا تعلم مكاني حتى!

قلت هذا وفجأة انتابني إحساس قوي بأن ما سيقوله لن يبشر بالخير فأخذت يدي اليمنى ترجف دون إرادتي وكأنما تتلبسني روح شريرة تتحكم بها، أغمضت عيني

وبثقة مغشوشة تنفست عميقا وما إن فتحتها حتى تمنيت لو أنني لم أفعل، فقد احتوت رسالته على أعمق كوابيسي.

- ماذا سأكون إن لم أعرف أين يوجد منزل شقيقة صديقتي المقربة!

دب الفزع في قلبي حتى كدت أفقد وعيي فيما عيناي تستقران على رسالته، سافرت بي مخيلتي إلى أبشع الأماكن فرحت أرى دخوله من باب الغرفة مسرعاً نحوي ممسكا بيده خنجراً حاداً صممه خصيصا ليقطع به جسدي إلى قطع صغيرة حتى خيل إلي سماع صرخاتي تتعالى ويتردد صداها، إنها النهاية، هذه نهايتي، سيتحقق ما أراده وينجح في لعبته، هذا ما أراده منذ البداية، أن يسيطر علي، عن طريق إخافتي، وقد نجح في ذلك.

- أراكِ تتفاخرين ببقائك داخل الغرفة، تشعرين أنك بأمان بما أنها تخلو من النوافذ، يمكنني سماع دقات قلبك من مكاني، تعترفين في داخلك أنني مصيب في كلامي.

في ظل الرعب المحيط وقفت باستعداد لما هو قادم وكانت المفاجأة الأشد أنه لا يعرف مكاني وحسب بل حتى أين اعتدت أن أنام، سرى في بدني رعب قاتل وأيقنت أنني إلى الموت مساقة لا ريب، عقدت الدهشة لساني فلم أستطع قولاً،

اكتفيت بمشاهدة رسائله ولم أدر بنفسي إلا وأنا أغمغم بكلمات لم أعرف حتى كيف نطقت بها "إنها نهايتي" وأوشكت من أن أصاب بأزمة فقد سيطر علي القلق...

انصرف وتركني أستسلم لمصيري وتمنيت لو لم يفعل، فإن لم يغادر لاستأنست بوجوده هناك، بعيدا عني، أما الآن فيمكنه أن ينقض علي في أية لحظة تحلو له، أما أسوأ ما يمكنه أن يحدث هو أن تتأذى شقيقتي أو زوجها بسببي، لا أريد أن أفكر في هذا الاحتمال حتى!

ها أنا ذا أحمل عبئي أمامي مثبتة في مكاني بلا حراك، وأنا غير واعية بذاتي أسأل نفسي عما يمكنني أن أفعله للخروج من هذا المأزق ولم تمر دقائق حتى أصابتني بعدها رجفة حادة مصحوبة بقشعريرة باردة لم أشعر بها قبل...

بعد طول تفكير وروية أخيرا قررت ألا أنتظر حدوث معجزة لتخرجني من هذه المصيبة، بل أن أخرج نفسي منها، لا يسعني طلب المساعدة من رناد فهي حساسة وإن رويت لها ما يحدث معي فستنهار بسهولة، أما مهدي فهو غائب طوال الوقت لذا لم يتبق أمامي سوى المفتش أدهم فهو وحده من يمكنه مساعدتي.

تناولت بسرعة هاتفي ورحت أتصل به المرة تلو الأخرى لكن اتضح أن هاتفه خارج الخدمة، فكرت في الذهاب إليه لكن مركز الشرطة يبعد بمسافة ساعة أو أكثر والوقت متأخر لا يسعفني للذهاب، تشتت ذهني ثم أطلقت تنهيدة ورحت أفرك جبيني كأنما داء الشقيقة سيداهمني واعتراني شعور غريب يحفر في تجويف معدتي

كأن مرساة حديدية تقبع فيها ولم أجد حلا آخر غير الابتعاد عن هنا تجنباً لأي ضرر قد يلحق بشقيقتي...

بعد ربع ساعة مرت جمعت فيها أغراضي وأنا على نفس الحال مذعورة مما قد يحدث فقد أصبحت في صراع مع الوقت ليس مع المترصد وحده، هممت مغادرة بعدما تركت رسالة أطمئن فيها رناد فوق المنضدة إلا أن ما خطر ببالي قد أوقفني عن المضي فتوقفت مكاني ووضعت ما بيدي من حقائب، فقد حثني قلبي على عدم الاستعجال والرحيل بهذه الطريقة فقد يظن عمر أنه السبب وراء ابتعادي وربما لو رويت له ما يحدث معي فقد يساعدني بفكرة ما أو حل ينقذني مما أنا فيه.

توقفت عند عتبة بابه متوترة محتارة فيما أفكر أو أقول، هل بما حدث من حرج مساء اليوم أم في "لا أحد" الذي يقوم بتهديدي منذ أزيد من شهر، استجمعت شجاعتي ورباطة جأشي ثم دققت دقتان، وما لبث أن انفتح الباب على مصراعيه، ولوحده!

ترددت في الدخول ورحت أتساءل أين ترك عقله لينسى باب بيته مفتوحا ولوهلة شككت أن يكون "لا أحد" قام بأذيته لينتقم مني فاحتمال كبير أنني كنت مراقبة طيلة هذه الفترة من قبله...

خطوت خطوتان ثم توقفت عن الحركة ورحت أنادي بصوتي المرتجف "عمر هل أنت هنا؟" وجعلني ذلك أتذكر الحلم الذي راودني حيث كنت محتجزة داخل قبو مظلم كالأميرة رابونزل، فجأة لمحت ضوء متوهج ينبعث من الغرفة التي منعني من فتحها في السابق ترددت قليلا ثم تقدمت نحوها وما إن دفعت الباب ببطء حتى

انفتح بأكمله محدثا ضجيجاً طفيفا معلنا عن فعلتي، دبّ الفزع بداخلي مما رأيت إنه شبيه بمسرح الجريمة بل أكثر، إنها مجزرة!

لم أتوقع يوماً أن يكون شعور الخيانة مؤلماً لهذه الدرجة لقد خان ثقتي وتلاعب بمشاعري، لا يعقل، كيف لم أكتشف ذلك...

كيف لم ألاحظ أن عمر نفسه "لا أحد"!

***

صور كثيرة معلقة على الحائط، أكثرها للحي الذي أقيم فيه حاليا، أجهزة إلكترونية وخيوط مبعثرة وخرائط متنوعة وكان بقلب الغرفة غرفة أخرى ينبعث منها الشعاع الذي جذبني إليه، ازدادت دقات قلبي المنفطر وتصبب العرق الثقيل على جبيني وما أن بلعت ريقي مشيت نحو الغرفة المتوهجة لأعرف ما سرها هي الأخرى حتى تفاجأت بعمر يخرج منها وبيده قفازات كالتي يرتديها المجرمون عند إقدامهم على قتل ضحاياهم.

- إنه أنت! كيف لم ألاحظ ذلك!

تجرأت وقلت كلماتي كجرأة ديك يصيح صيحته الأخيرة قبل أن يُذبح، بقي مسمراً مكانه ينظر إلي بنظرات تخلو من أية مشاعر، نظرات باردة مخيفة، فقلت لاهثة الصدر مأخوذة الأنفاس:

- هل كانت هذه لعبة أخرى من ألاعيبك، أن توقعني في شباكك وتوهمني بحبك المزيف؟!

بينما دار "لا أحد" حوله في حذر وانتباه حاول أن يتقدم نحوي ببطء وما إن خطى خطوة نحوي فعلت المثل وتراجعت بخطوة إلى الخلف استعدادا للهروب في أية لحظة، فلا أحد يدري ما هو مقدم على فعله، بينما تبدى علي الجزع والارتباك رفع يده مشيرا إلي وقال بصوت مبحوح:

- مايا أنت لا تفهمين...

لم أترك له الفرصة ليغمرني بالكذب أكثر مما فعل حتى هذه اللحظة، حملقت في وجهه مليا ثم أسرعت هاربة نحو الخارج لكن سرعته كانت أقوى فقد قفز نحوي بطريقة جعلته يمسك بي من محاولته الأولى وقد كان ذلك شبيها بالرجل الوطواط ولوهلة خيل لي أنه خارق من نوع ما، بدا واثقا أنه قد أمسك بي ويستطيع أن يفعل بي ما يريد وما إن نظرت إلى عينيه الخاويتين من المشاعر قمت بالإفلات منه بعدما ركلته ركلة قوية نحو أكثر مكان يمكن أن يؤلمه في جسده ثم دفعته بأقصى قوتي ولا أعرف من أين جاءتني هذه القوة، مقاومتي له لم تكن متوقعة تماما أعتقد أنها ردود أفعال الجسد في مواقف مرعبة كهذه، فجأة سمعت صوت ارتطام فهمته دون أن أراه فاستدرت نحوه ببطء لأجده رابضا على الأرض ممتقع الأسارير كالموتى ورأسه ينزف دما غزيرا.

هربت وأنا أردد في داخلي: لم أنا؟ ما الذي فعلته حتى أستحق ذلك؟ فأنا لم أرتكب أية جريمة! لكنني الآن أصبحت مجرمة، لقد قتلته أصبحت قاتلة، نجح في لعبته وحولني إلى وحش قاتل مثله لكن... لكن... لم أقصد ذلك هو ارتطم لوحده أنا بريئة!...

ارتميت على السرير دون أن تلحظ رناد وجودي ودفنت رأسي في الفراش وأخذت أبكي بحرقة على ما ارتكبته، أنا لم أقتل في حياتي نملة من قبل فكيف لي بقتل رجل، لكنه مجرم فهل هذا يعني أن قتله جائز؟ لم تكن هذه نيتي، ولن أكذب فقط أحسست ببعض من الراحة فمن ناحية تخلصت من لا أحد، أما جزء كبير مني فهو نادم على قتل عمر، في لحظة تجمعت في عقلي جميع المواكب الحزينة، فقمت وضغطت على رأسي كمن يعتصر الزيتون حتى تصورت أنه سينفجر بين يداي، مرت دقائق استجمعت فيها نفسي ثم دلفت إلى غرفة رناد بعدما أزحت كل ما يدل على بكائي، كانت منغمسة في قراءة ما بيدها "سمرقند" ولم استغرب ذلك فلطالما وجدتها منجذبة نحو الشعر إلا أن حياتها الزوجية لم تبدُ لي شاعرة كما أرادتها أن تكون.

اعتدلت في جلستها فور ما رأتني ثم بادرت قائلة:

- آه مايا هل ناديتني؟ آسفة عندما أبدأ بقراءة الكتب يذهب سمعي وعقلي لمكان آخر.

لذت بالصمت طويلا ثم قلت:

- جئت لأودعك فأنا ذاهبة.

استوت واقفة بحركة سريعة مصدومة مما قلته، بنبرة أسى وغصة مرارة قالت:

- لكن لماذا؟ هل أخطأت في حقك؟ أم أن مهدي فعل لك شيئا؟!

أجبت مبررة باختصار:

- كلا فقط اشتقت للانفراد بنفسي، كما لدي عمل لأنجزه.

صمتت برهة وهي تتطلع إلي بعطف وأخيرا قالت:

- إذا كنت مصرة فلن أستطيع ردعك، احفظي عنادك... لكن لم تودعينني الآن، لم لا تصبري حتى الصباح؟
- هذا لأنني ذاهبة الآن، وأعرف أن الوقت متأخر بعض الشيء لكنني مضطرة لذلك!

أحسست بالقلق ينتابها بعدما نظرت إلي نظرة العارف ولم أحاول أن أبرر لها أكثر فلا أملك الوقت لذلك ولتجنب حزن الوداع بعد أن ساد بيننا صمت مطبق أمسكت بيدها وسألتها قائلة:

- أختي العزيزة هل أنت متأكدة من أنك ستكونين بخير مع مهدي؟

قلت ذلك وقد أخفيت وراء كلماتي سطور من المعاني ولأني عرفت أنها ستفهم لم أجرؤ على جرح مشاعرها فضحكت وهي تحاول إخفاء الألم من صوتها وأجابتني قائلة:

- ما بيننا ليس حباً أو عشقاً بل اعتياد...

سادت لحظة صمت التقطت خلالها نفسا عميقا ثم أكملت:

- والاعتياد يشبه سجينا حكم عليه بالمؤبد وفي منتصف حكمه تم الإعلان عن براءته إلا أنه لا مكان ليذهب إليه فزنزانته باتت حصنه الوحيد كما أنه مستعد لفعل أي شيء من أجل أن يعود إليها، حتى القتل.

بينما كانت تتحدث ركزت أعينها على صورة مهدي التي كانت داخل إطار يزينها وقد لفتت نظري الصورة القابعة بجانبها، أفلتت يد رناد ثم اقتربت نحو الصورة والتقطتها بلا تردد فقد انصدمت بما رأيت، في بادئ الأمر خيل إلي أنني أهلوس وأن ما أراه ليس حقيقيا، ما كان بداخل الصورة جعلني أكتشف مدى تسرعي وغبائي في آن واحد، بعدما مرت نصف دقيقة من إمساكي بها ومحاولتي لاستيعاب ما يحدث بدأت يدي في الارتجاف وأحسست أن ما أحمله بيدي ليس صورة بل صخرة ضخمة يصعب حملها فسقط الإطار من يدي ليحدث ضجيجا بعد تبعثر زجاجه المنكسر، كانت الصورة لمهدي وصديقه وليس هذا ما أثار ارتعابي بل ما كانا يفعلانه إذ كانت تقبع وسطهما لعبة مبسطة من الدومينو وأسارير ماكرة تنبعث من ملامح مهدي تدل على نصره.

أسرعت رناد نحوي لتلتقط ما تبعثر من زجاج فأمسكتها من يدها وقلت بحدة وحزم:

- دعك من الزجاج الآن واسمعيني جيدا!

فتحت فمها استغرابا مما يحدث وراحت تهز رأسها بالموافقة فأكملت قائلة بعدما ابتلعت ريقي بصعوبة:

- ألم تخبريني في السابق أن مهدي ليس له أصدقاء؟
- بلى هذا صحيح!

انحنيت نحو الصورة بسرعة ثم أريتها إياها بعدما التقطتها وقلت:

- إذا من هذا الذي معه؟

تطلعت إليها وارتعشت شفتاها وهي تقول بيأس:

- اه المسكين.. كان صديقه لكنه مات يافعاً.

انقطع صوتها بعدما سافرت بي ذاكرتي إلى ما قاله "لا أحد" عن استمتاعه بلعبة الدومينو وقتله لصديقه الوحيد وأخذت تتنقل بي الأحداث إلى غياب مهدي من البيت كلما تحدثت مع لا أحد وإلى تلك الليلة التي "مازحني" فيها كما ادعى.

- لكن أنا لا افهم مالذي يحدث يا مايا؟؟

دب القلق الى قلبي بعدما تيقنت أن كل ما حدث كان السبب فيه، إنه "لا أحد" لا أفهم لم قد يفعل ذلك وما غايته إلا أن ما أعرفه أنه يجب علينا أن نغادر هذا البيت بأسرع ما يمكن!

توجهت نحو خزانة رناد وأخذت أجمع بعضا من أغراضها بسرعة فائقة وهي تقف تنظر نحوي مذهولة لا دراية لها بما يحدث، استمرت بطرح آلاف الأسئلة التي تجنبت الإجابة عنها لربح المزيد من الوقت إلا أنها لم تكتف بذلك إذ أمسكت بي بكلتا يديها وراحت تهزني بقوة قائلة:

- حبا بالله لا تصيبيني بالجنون أخبريني فورا ما الذي يحدث!

توقفت لبرهة عن الحركة ثم نظرت إليها بحزم وقلت:

- أعدك أنني سأخبرك كل شيء لكن ليس الآن ثقي بي، علينا أن نسرع بالمغادرة.

رمقتني بنظرة المقتنع وراحت تساعدني في حزم ما تبقى من أمتعة ولم تمر دقائق حتى وصلت سيارة الأجرة التي طلبتها فألقينا بأنفسنا داخلها على الفور وما إن انطلقنا حتى رن هاتفها ليعلن عن اتصال مهدي مما جعلني أشك في أنه يراقبنا فمنعتها بصرامة من الرد عليه.

*****

ارتمت مايا فوق الأريكة بعدما دلفت وشقيقتها المنزل وما لبثت أن راحت تبكي منهارة بصوت مكتوم أما رناد التي لم تفهم شيئا فقد بقيت مسمرة مكانها تنظر إلى ما يحدث حولها من غرائب وقد كانت هذه المرة الثانية التي رأت فيها شقيقتها تبكي بهذه الحرقة، فآخر مرة كانت يوم فقدت والدها، اقتربت نحوها ببطء ثم قالت بهدوء:

- -من فضلك- أخبريني بما يحدث حتى نتمكن من مساعدة بعضنا.

تطلعت مايا حولها والدموع تترقرق في عينيها ثم راحت تهز رأسها بعنف رافضة طلبها فأخذت ترمقها بعينين ثاقبتين وأضافت قائلة:

- أحاول قدر المستطاع أن أبقى هادئة... مايا! لا تنسي أنك وعدتني وها هو صبري على وشك ان ينفذ.

- لقد...لقد قتلته!

تمتمت مايا وهي تركع خائرة القوى.

- أصبحت مجرمة... قتلت عمر...

بذهول وحيرة، وضعت رناد يدها على قلبها كمن أصابته سكتة قلبية، كان عقلها مشتتاً وقد خيل لها أن ما سمعته كان من وحي عقلها فانحنت نحو شقيقتها وراحت تهزها بقوة قائلة:

- ماذا قلتِ! عودي لوعيك ما الذي تقولينه حبا بالله!!

بعدما أمعنت النظر في الفراغ أمامها قالت:

- قتلت الشخص الخطأ ظننته لا أحد... مات بسببي.

أحست رناد بوجهها يلتهب فركضت نحو النافذة وفتحتها ومدت رأسها لتستنشق بعض الهواء وبعد بضع ثوان تبعتها مايا وراحت تقول راجية:

- رناد... اسمعيني عليك أن تتصلي بصفية...
- أي صفية؟ بالجارة؟!

باستغراب سألتها فأخذت مايا تهز رأسها بالموافقة وأكملت قائلة بإلحاح:

- اطلبي منها أن تذهب لعمر فورا وتطلب الإسعاف له... ربما لم يفت الأوان على إنقاذه.

صاحت بها بعدما نظرت الى الساعة قائلة:

- هل جننت ألا تعرفين كم الساعة الآن وإن كان صحيحا ما تقولين فاعلمي أنها لن تتردد بالاتصال بالشرطة!

- هذا غير مهم ليس أهم من حياته.

ما قالته كان كافيا لإقناعها فلم تقو رناد على الرد فأمسكت الهاتف وراحت تتصل بالمخلوقة باذلة اقصى جهدها لتحافظ على هدوءها.

- الو صفية... أرجو ألا أكون قد أيقظتك في هذا الوقت.
- رناد هذه أنت! يبدو أن ساعتك معطلة فقد حل الليل منذ ساعات... ماذا حدث لتتصلي بي في هذا الوقت؟
- أريد منك معروفا...
- لدينا شيء وراثي في عائلتي فاتصالات الليل تخيفنا ولو كانت أمي حية لماتت من الخوف الآن... اه ماذا قلت؟ معروفا؟ تفضلي طبعا!

تنصتت مايا لحديثهما بعدما جففت دموع عينيها ولبرهة كادت رناد تنسى كم أن جارتها ثرثارة، فاستطردت قائلة:

- عمر. أقصد الشاب الذي قدم مؤخرا ليعيش في الحيّ، أريد منك أن تطلبي منه أن يجيب على اتصالاتي الآن.
- حاضر إذا كان الأمر لا يتطلب الانتظار فسأفعل ذلك لكن...
- لكن ماذا؟
- ماذا عن زوجك هل يسمح لك بالتحدث مع الشباب في مثل هذا الوقت؟
- كلا! ليس كما تظنين! سأشرح لك كل شيء عندما أعود إلى المنزل أعدك.

أقفلت صفية الخط والدّهشة تأسر ملامحها وبعقلها تدور عشرات من الأفكار وما لبثت أن وقفت أمام بيت عمر تعانق معطفها القطني، تقدمت نحو بابه وراحت تدق بقوة لدقائق معدودة دون أن تتلقى أي رد من أحد، لسعها البرد القاسم فعادت مسرعة إدراجها.

- ألو ألو، رناد ...
- نعم يا صفية أسمعك، أخبريني ماذا حدث؟
- فعلت مثلما طلبت لكن لم يكن أحد بالمنزل حتى أن الأنوار لم تكن مضاءة.

تراجعت مايا المتنصتة نحو الخلف بعدما شحب وجهها وجف حلقها وهي تقول متمتمة:

- هذا غير معقول!

أقفلت رناد الخط وأخذت ترقب في تطلع ما تقوله شقيقتها، بعدما اعتصر قلبها وتلاطمت مشاعرها أضافت:

- متأكدة من أنني تركت الباب مفتوحاً.

لغة جسد رناد دلت على أن أمرا ما يقلقها إلا أنها كبحت انزعاجها وربتت عليها قائلة:

- ولكن تبين أنه مغلق، هذا شيء جيد يعني أنه لم يمت.

أمسكت بها من يدها وأجلستها على الأريكة ثم طلبت منها للمرة الرابعة أن تروي لها ما يحدث فراحت مايا تطلعها على ما جرى وهي تغالب دموعاً تناضل للخروج من عينيها وبين الحين والآخر كانت تفرك يديها وتقضم شفتيها.

اقشعر جسد رناد من كمية المعلومات التي بدا استيعابها أكثر مما تتحمله طاقتها وأحست بشفقة بالغة اتجاه ما تمر به شقيقتها من محن، مرت نصف ساعة بغيضة من الصمت المطبق راحت فيها تفكران بما يحدث وما سيحدث، فارتأت رناد أن شحن طاقتها ببعض النوم سيكون مفيدا لتخطي تعب اليوم. وهكذا، فقد غرقت في أفكارها حتى غطّت في نوم عميق.

في صباح اليوم التالي كانت العصافير ترجع صاخبة إلى الأشجار، فتحت مايا عينيها وعندما استيقظت لم تدرك أين هي في بادئ الأمر، فاستوت جالسة لتجد رناد تقف بالقرب من النافذة وقد أغلقت الهاتف بعدما أنهت اتصالها الذي تركها في بهجة عارمة فقفزت مايا من سريرها بسرعة فائقة وراحت تتساءل باستغراب عما يجعل ابتسامة مشرقة كتلك ترتسم على وجهها في محنة كهذه فنطقت رناد مجيبة بنبرة فرحة:

- حدثتني صفية منذ قليل وأخبرتني أنها التقت بعمر وهو على خير ما يرام.
- أحقا ما تقولين؟!

أرادت أن تقفز فرحا بعدما هزت رناد رأسها بالإيجاب، إلا أن ما فعلته هو الإسراع لارتداء حذاءها، فأوقفتها قائلة بتلعثم:

- مهلا، انتظري، هل ستذهبين الآن؟ على الأقل قومي بتغيير ما ترتدينه!

بعدما تأملت مليا فيما ترتديه راحت تضحك على نفسها وهي تقول:

- بالفعل معك حق... أو تعلمين شيئا، سأقوم بشرب كأس من القهوة أولا ثم أغادر بعدها فرأسي على وشك أن ينفجر.

أكملت كلامها وتوجهت مباشرة نحو المطبخ وبعد دقائق مرت من البحث المتواصل عن القهوة لم تجد شيئا مما أثار ذلك ريبتها فأسرعت نحو رناد وقالت بينما راحت تمسك برأسها من الألم:

- هل دخلت في فترة ما إلى المطبخ؟

بقيت رناد مسمرة مكانها مشدوهة لا تعرف ما تقصده فأضافت:

- أقصد لم أجد علب القهوة التي كنت أحتفظ بهذا أليس هذا غريبا؟

ارتسمت علامات الجدية على رناد وهزت رأسها باستغراب موافقة شقيقتها قولها وقالت بحيرة ساخرة:

- فعلا هذا غريب... ربما قتلها أحد ما!
- كفاك سخرية، فأنا أحدثك، وبكل جدية، رأسي يكاد يقتلني من الألم.

بعد دقائق سريعة، غيرت مايا ثيابها على استعجال وما هي إلا نصف ساعة حتى وجدت نفسها تقف أمام باب عمر، الشاب الذي فتح لها قلبه وقابلته بالسوء إلا أن

هذا لم يكن قصدها فلا يوجد لنيتها الحسنة مثيل، بعدما واتاها الخجل إلى درجة الضعف دقت الباب دقة كادت ألا تُسمع ففتح لها عمر ووقف منتصبا أمامها بوجه متعجب فأطرقت برأسها نحو الأرض متحاشية النظر إلى عينيه، تنحنح قائلا:

- هل أتيت لتتأكدي من موتي بعدما تركتني غارقا في دمائي؟

تنهدت متحسرة لما سمعته وعلامات الأسى تغطي محيّاها فأطلق ضحكة باهتة قال بعدها:

- أمزح معك، لا داع لرسم ملامح القطة المسكينة على وجهك فهذا يؤلم قلبي!

رفعت رأسها في شيء من الزهو بعدما أحست أنه ليس غاضبا منها وابتسمت شفاهها والعينان، لمحته يلف رأسه بضمادة طبية فعادت لخجلها وحزنها ثم قالت بتمتمة:

- حقا آسفة لما سببته لك...

وإذ به يقاطع كلامها قائلا بتلطف:

- تفضلي بالدخول أولا ثم اشرحي لي كل ما حدث خطوة بخطوة.

بعدما دلفت مايا إلى بيته تطلعت مليا نحو الغرفة الغامضة التي حدث فيها ما حدث وقبل أن تتقدم بخطوة إلى الأمام سألته بنبرة واثقة:

- ليس قبل أن تشرح لي ما سر تلك الغرفة وما غايتك من الصور المعلقة... وصورتي!

ابتسم بإحراج ثم واتته حكة قوية خلف عنقه وراح يقول بعدما اعتراه الخجل:

- لم تتركي لي المجال لأشرح لك، وليلتها فهمت نظراتك المتشككة التي رمقتني بها...

تنهد طويلا ثم أكمل:

- بصراحة لم أغضب منك، بل من نفسي لأنني لم أخبرك عن طبيعة عملي.

تطلعت إليه باستغراب بعدما عقدت ذراعيها عند صدرها كمحقق بارع، فاستطرد قائلا:

- أعمل صحفيا استقصائيا وطبيعة عملي صعبة، تتطلب السرية كنت أنوي إخبارك طبعا، لكنك تسرعت بالحكم علي، ولست ألومك هنا.

بعدما سمعت ما قاله بإمعان اقتربت منه في خطوات سريعة وراحت تتأمله في إعجاب ثم قالت بصوت هادئ صاف:

- إذا، ماذا عن صورتي؟

ابتسمت بدلال وأردفت:

- هل كنت تتحرى خلفيتي؟

وقد لامست ابتسامتها الحانية دقات قلبه بعدما تلاقت أعينهم في جو مليء بالمشاعر فأمسك بيدها بلطف دون أن تحاول سحبها ثم أردف قائلا:

- تلك هي المرة الأولى التي رأيتك فيها ورغبتي كانت قوية في إبقاء ذاك المشهد الجميل حيا فقمت بتجميده عبر آلتي.

سادت لحظة صمت طويلة بينهما ضحكت فيها قلوبهما وتبادلت أعينهما الكثير من الأحاديث الشيقة والمليئة بالشغف والحب...

انصرفت مايا بعدما وعدته بإخباره كل ما حدث معها في يوم آخر وفي طريق عودتها إلى البيت أحست بخطى تتبعها وبعدما أمالت رأسها قليلا ظهر لها ظل أخذ يزداد طوله كلما اقترب أكثر من كل خطوة تخطوها وهنا أيقنت أنه يتم تعقبها فاجتاحها فزع عظيم حرك فيها كل خلية من جسدها، أخذت تسرع من مشيتها شيئا فشيئا حتى كادت أن تركض ركضا، فجأة، اصطدمت بشاب في منتصف العشرينيات ذو وجه مربع وعينان خمولتان فاعتذرت منه بتلبك وتأسفت على عدم احتراسها فقابلها بابتسامة عريضة قائلا:

- مايا!
- مراد!

قالت بدهشة وتعجب وقد كانت مصفرة الوجه مذعورة الروح، تفاجأت من اصطدامها بابن مصطفى، صاحب البيت الذي تستأجره، فنادرا ما تصادفه ولم تعرف من قبل أنه على معرفة بهذا الحي الذي يقرب بيت رناد، بعدما لاحظ شحوب وجهها سألها قائلا:

- هل أنت بخير؟ وجهك شاحب للغاية!

هزت رأسها بالموافقة بعدما بلعت ريقها واختلطت في رأسها الكلمات ثم تنهدت بعمق وقالت:

- نعم أنا بخير، أعتذر، يجدر بي الذهاب.

لكنه استوقفها قائلا بلطف:

- يمكنني ايصالك إلى وجهتك، لست مضطرة للذهاب بالحافلة.

ابتسمت برقة متشكرة لكن سرعان ما غادرها الشعور بالأمان والاطمئنان وارتسمت نظرة الرعب على محياها ثم قالت متمتمة بتلعثم واضح:

- لكن... كيف... علمت أنني سأستقل الحافلة؟

اتسعت احدى عينيه فيما ضاقت الأخرى وبدت على شفتيه ابتسامة تشي بالارتياح ثم رد عليها:

- تخميني في محله على ما أظن.

لم تأبه كثيرا لما حدث فاعتذرت منه وانصرفت مغادرة وبعد مسافة الطريق وصلت إلى البيت في حالة من الذعر وما إن دخلت حتى اتسعت أذناها لما سمعته...

***

كانت رناد تقف عكس اتجاه الباب تتحدث على هاتفها النقال بكل أريحية وفي تلك اللحظة سمعتها مايا وقد قالت شيئا مريبا، ومن هول الفزع أغمضت عينيها لتوهم نفسها أنه كابوس لكنها فتحتهما وأيقنت أنه ليس حلما بل واقعاً يحدث في هذه اللحظة، لبثت هكذا لبضع ثوان فما سمعته جعلها تشعر وكأن قلبها قد كف عن النبض وطاف بذهنها خاطر، قفزت من مكانها بسرعة فائقة ثم توجهت نحوها وبنظرات متشككة قالت:

- مع من تتحدثين؟!

استدارت رناد نحوها بوجه باهت كمن صادفه شبح مخيف وقالت متلعثمة بشفاه مرتجفة:

- متى أتيت...

كررت مايا سؤالها لكن هذه المرة بصوت عال أقرب إلى الصياح فاختنقت الكلمات في حلق شقيقتها وما أن استعادت توازنها قالت:

- لا أحد!

صمتت قليلا ثم أكملت:

- أقصد لا أخاطب أحدا.

وتزايدت دهشتها عندما سألتها إيضاحا:

- ما الذي ما زلت أجهله؟ لقد سمعتك بشكل واضح فلتجيبيني!

تسمرت مكانها كصنم حجري ثم أخفت هاتفها خلفها وضغطت عليه بإحكام فتقدمت مايا نحوها بعدما وجدت نفسها دون جواب وخطفته منها في عنف لتجد آخر اتصال سُجل كان لمهدي فسرت في بدنها رجفة وتفاجأت مما رأت، تقدمت نحوها بخطوات حازمة وعلامات الحيرة تأسر ملامحها ثم صاحت في وجهها وهي ترتجف من الغضب:

- لماذا اتصلت بمهدي على الرغم بما أخبرتك إياه ومالذي كنتما تتحدثان عنه، لقد سمعتك بوضوح عندما قلت "ليست على دراية بشيء" أعرف أنني المقصودة ما الذي عنيته!!

صمتت للحظة انتظرت فيها تفسيرا من شقيقتها فهذا أقل ما تستحقه غير أنها تطلعت في وجهها من دون أن تنطق بكلمة واحدة وهنا أدركت أن هناك شيئا ما

تكتمه، ثم أشاحت بوجهها نحو الأرض وكانت حركتها تلك كفيلة لتؤكد ما قالته لها.

- رناد أجيبيني لم تصمتين!

بعدما ضيقت حدقتيها استيعابا شهقت وعلامات الجزع على وجهها:

- يا للهول! كيف لم أنتبه لذلك، أنت شريكته! وكل ما حدث كان مخططا له.

كانت نظرات الخيبة بادية على وجهها، فتحت فمها مدهوشة وكأنها استرجعت ذكرى منسية وقالت:

- مهلا... لا يعقل!!

ثم أضافت بصوت مخنوق:

- حبوب الفيتامين التي كنت تجبريني على تناولها كل صباح لم تكن فيتامينات أليس كذلك... بل كانت نوعا آخر من الأدوية لتبقيني غائبة عن الوعي... نسياني المتكرر للأشياء واختفائها!

قاطعتها رناد متمتمة:

- ما الذي تتحدثين عنه بحقك!
- ماذا إذا؟ تكلمي!

إلا أنها التزمت الصمت المطبق فتجاهلت ما قالته وأخذت تدور حول نفسها ثم أكملت كأنها تحدث نفسها:

- نعم بالفعل... هذا صحيح لقد كانت تفقديني وعيي باستمرار حتى الشاي الذي كنت تعدينه... طعمه كان غريبا أيضا لكن لم أفهم شيئا.. القهوة لم منعتني من شربها؟

ضربت رأسها بخفة ثم أخذت تضحك بهستيرية مخيفة قائلة:

- من أين لك القدرة على التخطيط لتلك الأحداث!

تقدمت رناد اتجاهها ببطء ثم همست بصوت مبحوح:

- أرجوك اهدئي قليلا واسمعيني.

قاطعتها بنبرة قاسية بعدما أوقفتها مشيرة لها ألا تتحرك:

- إياك والإنكار! فقد اكتشفت كل شيء بالفعل ولن أصدق أيا من كذبك بعد الآن!

شهقت باكية وكادت تفقد وعيها إلا أنها تماسكت جيدا وراحت تكرر في يأس خانق:

- لكن لم؟ ما الذي فعلته لك؟ أنا... أنا لم أنو أذيتك يوماً.
- كلا مايا... أنت لا تفهمين.
- إنها هي اليس كذلك؟

جففت دموعها ثم قالت بلهجة جدية:

- والدتنا هي من حثتك على فعل ذلك دون شك، إنها أفعالها.

صمتت لبرهة وراحت تتطلع إليها كمن ينظر إلى عدوه اللدود، كيف لا وقد خانتها أشد خيانة وهي التي لم تتمنَ لها شيئا غير الخير، كان شعورها بالخيبة شبيها بالموت

وقد هيمن على نفسها يأس مرير وغلبها شعور الإحباط والبؤس، هذه المسكينة التي كانت مستعدة لأن تضحي بروحها من أجل شقيقتها اتضح لها أن جميع المصائب التي حدثت معها خطط لها.

بهدوء وصرامة أحضرت رناد معطفها الخفيف بعدما جفف الهواء دموعها ثم قامت بارتدائه دون أن تتفوه بكلمة بعدها تقدمت إلى مايا وقالت بنبرة واثقة:

- عليك مرافقتي إلى مكان ما، أريد أن أريك شيئا.

ظهرت على مايا آيات الغضب وارتسمت في نظراتها حدّة النسر وهي تقول:

- كيف تتوقعين مني بكل جرأة أن أثق بك؟ لن أغادر معك إلى أي مكان!

لكن رناد لم تأبه لما قالته، اقتربت نحوها ثم سحبتها من يدها وخرجت بها من الباب.

بعدما انطلقت بهما سيارة الأجرة سافرت مايا بمخيلتها إلى العديد من الافتراضات وخيل لها لبرهة أن هذه مكيدة من أختها لتؤذيها أكثر مما فعلت، بعدما طردت أفكارها قررت أخيرا أن تخرج عن صمتها فتنحنحت ثم طلبت من السائق أن يتوقف بالسيارة على الفور لتترجل منها وقد كان على وشك أن يمتثل لأوامرها لولا أن رناد منعته من ذلك فصاحت في وجهها وهي تقول:

- أخبريني إلى أين تأخذينني إذا؟

فالتفتت نحوها ببرود وأجابتها قائلة:

- إذا أردت أن تعرفي فعليك أن تحافظي على صبرك حتى نصل.

أطلقت مايا زفرة قوية وكأنها تحمل حقد العالم كله وظلت صامتة، بعد بضع دقائق مرت بعدما ولت اهتمامها إلى الطريق حيث الهواء البارد يصافح النخيل أسفل السماء الزرقاء المائلة إلى الغروب، انتبهت إلى أن هذا ليس مجرد طريق بل هو مكان تعرفه لسنوات طويلة ولم تلبث أن التفتت إلى رناد الجالسة على المقعد المجاور لها لتخاطبها متسائلة وهي تعتدل في جلستها:

- لم أحضرتني إلى هنا؟! أحبيني ما غايتك من ذلك؟

وفي تلك الأثناء انعطفت السيارة تاركة الطريق الزراعي الطويل بعدما هبطت منحدرا ترابياً أخرجها بعدها إلى طريق متسع عريض، صمتت قليلا ثم أضافت:

- علمت ذلك! هي من طلبت منك أن تجلبيني إليها كي تتفاخر بما فعلته!

لتخرج رناد عن صمتها في تحد مجيبة:

- عليك أن تهدئي فمن تتحدثين عنها تكون والدتنا!

هدأت حركة السيارة قبل أن تقف أمام بيت كبير من ثلاث طوابق شبيه بالبيوت الريفية فنزلت رناد وتبعتها مايا التي لم تقو على الإسراع لتكتشف ما غاية شقيقتها من جلبها إلى هنا، أخرجت رناد المفتاح من حقيبتها ودلفت إلى الداخل فأسرعت مايا لحاقاً بها، في تلك اللحظة جاء صوت من عند مدخل الباب فالتفتت الفتاتان

ناحيته، كان هناك امراة خمسينية ذات عينين ضيقتين ترتدي فستانا زهريا، سارعت نحو مايا ثم احتضنتها وقبلتها بشفتيها الضامرتين قبل أن تقول لها بحب:

- ابنتي... اشتقت لك كثيرا يا مايا.

ولكن مايا تراجعت بخطوات إلى الخلف وتجاوزت الموقف على الفور وهي تشير إليها مخاطبة رناد:

- ها قد وصلنا، والآن عليك أن تشرحي لي لم أتيت بي إلى هنا!

صمتت المرأة بعدما عجزت عن النطق وبقيت مشدوهة لا تفهم ما يحدث وما لبثت أن نطقت بارتباك موجهة كلامها إلى رناد:

- هل مجددا؟!

بنظرات اليأس المرتسمة على وجهها ردت رناد بالموافقة:

- للأسف.

كان الطابق الأرضي ببهوٍ واسع ومطبخٍ وثلاث غرف، حينها تقدمت رناد نحو احدى الغرف فتبعتها مايا التي تحمل في طياتها آلاف الأسئلة فتوقفت رناد عن المضي وبنبرة هادئة قالت:

- كانت هذه غرفة العمل الخاصة بوالدنا حيث كان يأتي بكل الأجهزة المعطلة ليقوم باصلاحها مجددا...

صمتت قليلا وبضحكة سخرية أكملت:

- لكنه لم يفلح في ذلك مرة.

عقدت مايا ذراعيها عند صدرها بتململ وحزم ثم قالت:

- هل أحضرتني إلى هنا لتعرفيني بمنزلنا؟ بالمناسبة ليست هذه أول زيارة لي!
- هذا يعني أنك تعرفين أيضا...

قطعت رناد كلامها في منتصفه وانحنت نحو الأرض ثم قامت بازاحة جزء من البساط المنفرش على الأرضية الخشبية فظهر تحته باب مربع الشكل وقبل أن تقوم بفتحه أسرعت والدتها قائلة بحدة قاسية:

- انتظري! هل تجدينه الوقت المناسب لهذا؟!

ببرود مثلج أجابتها رناد:

- لا توجد أوقات مناسبة لأشياء كهذه يا أمي... إما الآن أو أبدا!

كل هذا ومايا مترقبة بذهول في انتظار فهمها لما يحدث حولها، سحبت رناد الباب فانفتح وظهرت بداخله سلالم خشبية تؤدي هبوطا نحو داخل قبو مظلم أنارت بعضه أشعة الشمس المسترسلة من نافذته الضيقة، وقفت باستعداد وأكملت كلامها مشيرة إلى شقيقتها:

- يعني أنك تعرفين هذا المكان!

أنهت كلامها لتجد مايا تنظر باستغراب والحيرة بادية على ملامحها فدلفت إلى الداخل وانتظرت نزولها... بعدما تبعتها تفاجأت مما رأته رغم تجاهلها للغبار الذي قطع أنفاسها ولخيوط العناكب المتبعثرة هنا وهناك فقد كان المكان شبيها بالسجن الانفرادي حيث تملؤه العديد من الآلات الحادة التي صنعت خصيصا لتعذيب الحيوانات او اسوأ...

فتحت رناد يديها على طولها بطريقة تمثيلية وقالت لها كأنما تريها شيء تفتخر به:

- بابا لم يكن طيبا كما تخالين... أترين كل هذه الأشياء المعلقة هنا وهناك؟ كلها قام بتجربتها على أجسادنا.. كلها بلا استثناء!

عقدت مايا يديها عند صدرها بحزم ثم قالت بعدما وجدت بصعوبة في الحديث:

- هل قمت بتحضير هذه المسرحية مع والدتك حتى تجعليني أكرهه؟ ألم يكفيكما أنه مات؟ ألم يكفها أنه مات بسببها.

التفتت نحو والدتها التي تبعتها بدورها وأضافت متهمة بحدة:

- بسببك أنت!!

شرعت والدتها في البكاء بلا توقف وما إن فتحت فمها لتتحدث حتى أوقفتها رناد بإشارة من يدها ثم اقتربت نحو مايا بكامل ثقتها وقالت:

- "الوحمة" التي خلف عنقك ليست بوحمة يا مايا افتحي عقلك واستوعبي ما يحدث من حولك..

تحسست عنقها بيدين مرتجفتين، وشحب وجهها فور ما عادت إليها ذكرى قديمة كانت مفقودة بين خزائن عقلها أكدت لها صحة كلامها فنزلت من عينها دموع حارقة كالنيران الملتهبة، تنفست رناد عن صدر مثقل وقالت:

- كان هو من تسبب لك بها، بإحدى أدواته التي اعتاد أن يعذبنا بها دون رحمة أو شفقة!

مسحت مايا دمعتها بسرعة وكأنها لم تكن وراحت تدور حول شقيقتها متطلعة إليها بنظرات مشمئزة وما لبثت أن قالت هازة رأسها بشفقة:

- كم أشفق لحالك يا رناد، هل وصلت بك السذاجة إلى هذا الحد؟
- هل تفعلين كل هذا لحماية "لا أحد"؟ لحماية زوجك بعد كل ما جعلك تعانينه من تجاهل ولا مبالاة!

فجأة سرت في بدنها رجفة ثم رفعت يدها مشيرة نحوها وتزايدت دهشتها وهي تقول:

- لا! جديا! أيعقل أنك تفعلين كل هذا فقط لأني كنت مفضلته؟ ولأنه أحبني أكثر منك!

انهماكها بالتفكير أعماها عن رؤية الغضب الذي تطاير من أعين رناد لكن الصفعة الحارة التي تلقتها منها بعدما أعادتها إلى صمتها جعلتها تلحظ الصدق بداخل شقيقتها.. بحركة درامية وبذهول وضعت مايا يدها على خدها، كيف لا وهذه المرة الأولى التي تضربها فيها شقيقتها التي اعتادت أن تتلقى الأذى مكانها، بابتسامة ساخرة ونظرات حقودة قالت:

- ما أراه الآن من عنف لا يدل على أن والدنا المتسبب به.. يا أختي!

صرّت رناد على أسنانها وقد تجهمت أساريرها وهي تقول:

- هذا صحيح، لقد كنت مفضلته، ولهذا كان يبقيك داخل هذا القبو اللعين لأوقات أطول مني.. لهذا قام بتعذيبك لفترات طويلة.

صمتت قليلا ثم تقدمت نحوها بخطى واثقة وما لبثت أن صاحت بوجهها الملتوي ألما بعدما رمت معطفها على الأرض قائلة:

- حسنا، إذا كنت لا تصدقين كلامي فهل تصدقين هذا الآن!

قالت كلماتها تلك وراحت تشد بقوة قميصها إلى أعلى مما جعل بطنها تنكشف وقد تعرى ظهرها و ظهرت على جسدها ندبات محفورة دلت على أثر إصابات حروق شوهت بشرتها الصافية دليلا على تعذيب متوحش وقع لها، وقفت مايا مذعورة وما لبث أن امتقع وجهها امتقاعا بالغاً وكأنما هربت منه جميع الدماء من هول ما رأته وارتعد كل جزء من جسدها وانتحرت الكلمات في حلقها، أما آسيا فلم تبد عليها علامات الدهشة أو الذهول مما جعل مايا تيقن أنها لم تر ما رأته لأول مرة بل هي على دراية مسبقة بما حدث لابنتيها، تلعثمت وتلكأت لثوان ثم انهارت باكية ووسط الشهيق والدموع المنهارة قالت:

- ما هذا الذي يحدث.. لكن.. لكنني لا اذكر أيا من ذلك!

ارتفع صوت آسيا التي كانت تشهق باكية ثم استطردت بيأس قائلة:

- أنا حقا آسفة.. أتمنى أن تسامحوني يوما، لم تكن لي القدرة الكافية لحمايتكما منه فقد منعني جبني وضعفي من ذلك ولا يوجد ما أندم عليه في حياتي أكثر من هذا.

تسمرت مايا مكانها من هول الصدمة حيث كانت مهيئة لكل احتمال إلا احتمال أن يكون والدها شخص بهذه الحقارة، أوشك الحزن أن يسرق منها عقلها، فجأة لمحت شيئا معلقا بالقرب منها فتقدمت منه لتتضح رؤيتها كانت آلة المنجل الزراعية

الخاصة بوالدها، باتت تتذكرها الآن حيث صممت بشفرات حادة منحنية إلا أنه لم يكن يستخدمها للزراعة، وقد تحولت إلى هدمة مغضنة علق بها رماد الحريق طرفها الأسفل إثر كويه المستمر لها.

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تجد صوتها ثم قالت وعيناها مبللتان بالدموع:

- لا.. لا.. هذا غير معقول لا يمكنني أن أصدق..

توقفت لحظة وكأنما تلقت صفعة أعادتها لوعيها وقالت مضيفة:

- لكن.. ما علاقة ما حدث في الماضي بلا أحد.. أقصد مهدي؟

طأطأت رناد رأسها بشيء من الشفقة ثم اقتربت نحوها ببطء بعدما أعادت قميصها كما كان وقالت بنبرة خافتة:

- المدعو "لا أحد" لم يكن مهدي..

فتحت مايا التي لم تفهم شيئا فمها بدهشة وازدادت رناد اقترابا منها ثم أضافت:

- بل كان أنت!

اختلطت ضحكات مايا بدموعها الحارقة مما أضاف للمشهد طابعا مسرحيا بامتياز وأخذت تقول بضحكات متجلجلة:

- ما الذي تقولينه بحق السماء؟ هل تحاولين إصابتي بالجنون؟

رفعت رناد عينيها وحملقت بها في جدية بالغة، فأضافت مايا قائلة بنبرة متشككة:

- مهلا...أفهم من نظراتك أنك تقولين إنني مجنونة بالفعل؟؟

انتفض جسمها بالحيرة والخوف بعدما نظرت إليها مليا وأضافت:

- أنت لست مجنونة بل...

- بل ماذا!! ابصقي ما في لسانك من قول!
- لديك شخصية مزدوجة.
- ماذا؟ وما هذا؟

أمسكت رأسها للحظة وكأنه على وشك الانفجار ثم أضافت متسائلة بحيرة وهلع:

- هل هو مثل الانفصام؟
- ليس مثله، بل هو انفصام بذاته وحالتك بالأخص تدعى باضطراب الهوية التفارقي.

ضغطت مايا على شفاهها وتصنعت الدهشة والتصديق في آن واحد بعدما رفعت حاجبيها عاليا وما لبثت أن قالت بنبرة حادة:

- يا لك من بلهاء تحسبينني سأصدق ترهاتك أنت ووالدتك المجنونة!

تنهدت رناد في تفهم دون أن تبدي أية ردة فعل تدل على انزعاجها وكأنها توقعت حدوث هذا، فقالت:

- أعرف أن ما أقوله يصعب تصديقه لكن ما حدث معك سببه سوء المعاملة التي تلقيتها في مرحلة طفولتنا، من ذلك النذل الذي لا يسمى.

عقدت يديها بحزم وراء ظهرها وهي تستمع بحرص لما تقوله شقيقتها ثم قالت بحيرة:

- حسنا فلنقل إنني صدقتك، إذا لم أنا؟ ماذا عنك الست مصابة به؟ قلت إنه قام بتعذيبنا معا!

تابعت رناد قائلة:

- هذا صحيح يا صغيرتي لقد عانينا معاً لكنك عانيت أكثر مني ففترة تعذيبه لك لطالما كانت أطول.

تصبب جبين مايا عرقاً بينما وضعت بيدها على صدرها عندما شعرت بقلبها يدق بسرعة من رهبة ما تذكرته فقد واتتها ذكرى منسية لحدث أليم جرى لها كانت مشاهده ضائعة في عقلها، تذكرت تلك الحرارة الشديدة التي انبعثت من آلة الكوي عندما كانت تنخر جسدها شيئا فشيئا، وظلت تتطلع بين الفينة والأخرى إلى الآلات المخيفة المعلقة باتجاهها.

- يا للهول، إنك محقة!

صمتت قليلا بعدما ابتلعت ريقها ثم قالت بتمتمة:

- تذكرت بعض الشيء... لكن... هل تقولين أنني كنت أهدد نفسي!

بعدما غاب صوتها هزت رناد بأسى رأسها وقالت:

- نعم هذا صحيح... كما أن انفصامك تسبب لك بفقدان الذكريات التي كانت السبب في حضوره.

انهارت أعصابها ثم أجهشت بالبكاء وأرخت جسمها لتركع مستسلمة لمشاعرها الحزينة وقد كان شعورها بالأسى بالغا كمن يدرك أنه حكم عليه بالإعدام لجريمة لم يكن مرتكبها.

- شعورك بأن هناك من يطاردك دوما ويحاول إلحاق الأذى بك... بالوساوس والعزلة والنعاس المفرط... كل هذا سببه مرضك يا مايا.

أكملت قائلة بعدما انحنت نحوها في ود:

- لم تكن حالتك بهذا السوء... في آخر مرة قمت بزيارتك فيها ولم تتعرفي علي...

قاطعتها مايا بعدما اختلطت مشاعرها ثم سألتها بنبرة دامعة متألمة:

- مهلا ماذا؟.. هل قمت بزيارتي؟ متى حدث ذلك؟

هزت رناد رأسها بالموافقة وأكملت قائلة:

- أتيت لزيارتك قبل أسابيع قليلة من قدومك إلى منزلي لكنك لم تتعرفي علي... حينها أدركت الورطة التي سببناها لك بالابتعاد عنك لمدة طويلة... ظننا أن هذا سيكون أفضل لك حتى تتأقلمي مع حالتك لكن ما فعلناه زادك سوء لا غير.

أغمضت عينيها بقوة مما زاد من تدفق دموعها وقالت:

- أنا لا أحد؟ هذا يعني أنني قتلت "كوكو" بيدي... كما أنني كنت أراسل نفسي طيلة ذلك الوقت؟
- لكن كيف؟؟

طفرت من أعين رناد دموع الشفقة والحسرة على شقيقتها المسكينة وقالت مقاومة انهيارها:

- كل هذا كان من صنع عقلك ألم تنتبهي إلى كل مرة تقومين فيها بتشغيل حاسوبك تجدين أن جميع رسائلك مع "لا أحد"... أقصد مع نفسك قد حذفت.

- فعلا.. هذا صحيح.. لكن كيف علمت بذلك؟

بلطف ولباقة أبعدت عنها خصلات شعرها عن وجهها بعدما التصقت بدموعها ثم قالت مبتسمة:

- لا تنسي أنني شقيقتك، لقد كانت أعيني عليك دوما.

ارتسمت على وجهها نصف ابتسامة مكسورة لكن سرعان ما عادت لمصيبتها فور ما تذكرت ما فعلته من بلايا فقالت:

- يا الهي، لست مجنونة وحسب بل كدت أن أصبح قاتلة أيضا!
- إذا كنت تقصدين عمر فلا تجزعي، فقد قمت بالاطمئنان عليه وهو بخير، أليس هذا بكاف؟

اندفعت تبكي بشكل هستيري ينقسم الحجر لرؤيته وبعد أن وجدت صوتها سألتها قائلة:

- إذا، ماذا عن حبوب الأدوية التي كنت تناوليني إياها كل صباح؟

تنهدت متحسرة وهي منهكة جدا لما يحدث ثم أجابتها قائلة:

- تلك كانت أدويتك يا عزيزتي ولأنك لم تكوني واعية بما يحدث من حولك اضطررت للكذب بشأنها.

ضغطت مايا بقوة على رأسها الذي كان على وشك الانفجار حتى عادت إليها صورة كابوسها المتكرر فتذكرت كيف كانت محبوسة داخل هذا المكان وتطل من نافذته بحثا عمن ينقذها وازدادت بكاء وتألما وهي تقول:

- بدأت تعود إلي بعض المشاهد، لكن الألم...

ثم صاحت قائلة بصوت عال:

- الألم لا يريد أن يتوقف!!
- -من فضلك- اجعليه يتوقف!

تألم قلب آسيا وهي ترى ابنتها تتألم بهذا الشكل القاسي ولم تعرف ما العمل، فارتمت نحوها باكية ثم عانقتها بكل حب وراحت مايا تتطلع إليها بنظرات غريبة وكأنها تتعرف عليها للمرة الأولى كرضيع يتعرف على ملامح والدته، بعدما هدأ ألمها تمتمت بصوت مبحوح "فتاة الحافلة" فانتبهت رناد لما قالته وسألتها باستغراب عما تقصده فأجابتها قائلة:

- التقيت من وقت ليس ببعيد بفتاة... ادعت أنها تعرفني جيدا وكانت نظراتها لي غريبة.
- كيف كان شكلها؟
- كانت قصيرة ذات شعر طويل...

قبل أن تنهي وصفها قاطعتها رناد قائلة:

- لا بد من أنها سارة!

تطلعت إليها مليا ثم أكملت:

- لم تكن تدعي بل هي على معرفة عميقة بك، فتلك كانت صديقتك المقربة قبل وفاة والدنا.

نطقت آسيا باستغراب:

- لكنني لم أفهم، لم عساه يحذف الذكريات المتعلقة بسارة فهي لم تؤذك يوما.

بعدما أنهت كلامها أتاها الرد من رناد قائلة:

- لقد حدث مثلما روى الطبيب... انفصامها... يطرد الأشخاص الذين يمكنهم أن يؤثروا عليها مثلما شوه ذكرياتكما معا وجعلك مذنبة في لا وعيها...

نظرت إليها مايا بعدما هدأ بكاؤها في ترقب لما ستقوله فأردفت:

- حتى يكون المسيطر الوحيد على عقلك وتختفي شخصيتك الحقيقية وتنتصر الوهمية.

*****

أن تقاوم

أن تتظاهر بالمقاومة شيء جميل لكن أن تستمر في ذلك فإن الأمر سيعود عليك بالسوء.

أفضل من ينحني ثم يعود للمقاومة على من يتظاهر بها دون أن يجيدها، كمن يعطى له دور البطولة لفيلم ضخم بينما لا يمكنه إنجاز مشهد واحد من عمل بسيط.
الانتصار في الحرب ليس هو الفوز، بل الفوز؛ أن تحافظ على انتصارك وقتا طويلا، الصراع الحقيقي ليس الذي تفتعله مع عدوك بل ذلك الذي يحدث حينما تكون في صراع مع ذاتك...
استخدمتني ذاتيا لأكون ضعيفة حتى لا أقوى على مقاومتها... من الجميل أن ينظر المنتصر إلى ما أنجزه، كان انفصامي قوياً، ولكنني تغلبت عليه واستعدت ما أملك من ذكريات عبر السيطرة على عقلي وكانت هذه أكبر مقاومة لي على الاطلاق، بل هي أكبر مقاومة يمكن لأي أحد أن يخوضها.
وهذه كانت مقتطفات من قصتي أنا... مايا.

* * * * *

كانت مايا تجلس وسط حشد من الناس، بينما كانت القهقهات تزداد من حولها ولم تشعر كيف تقدم ذلك الشخص من بين الزحام ليمد يده نحوها قائلا بلطافة:

- هل لي بتوقيع من فضلك؟

رفعت رأسها ببطء وقد اكتست ملامحها بمزيج من الفرحة والاندهاش ما إن رأته، فقامت من مكانها واحتضنته بامتنان قائلة:

- عمر! ظننتك لن تأتي.

أمسك بيدها في حنو ثم قبلها بابتسامة عريضة أبانت غمازاتيه ثم قال:

- كيف لا أحضر لحفل توقيع الكتاب الخاص بخطيبتي!

أسعدتها كلماته اللطيفة وغاصت في بريق عينيه وراحت تتساءل كعادتها عما فعلته من خير لتنال شخصا رائعا مثله وسرعان ما عاد بها صوت رناد إلى رشدها فمالت برقبتها إلى الخلف لتجدها تتقدم نحوها بابتسامة مشرقة ممسكة بإحكام يد زوجها مهدي الذي تطوع قائلا:

- نرجو أن نكون قد أتينا في الموعد المحدد... اه عزيزتي مايا أهنئك على نجاحك الرائع.

ابتسمت متشكرة فصاحت بها رناد بعفوية قائلة:

- فلتنسيا عبارات الشكر الآن وليحضر لي أحدكما كرسيا لأجلس عليه ألا تعرفون إكرام المرأة الحامل؟

فور ما أنهت كلامها أسرعت آسيا إليها وبيدها كرسي خشبي قدمته لها وهي تبتسم بوجهها البشوش، أما مايا فقد غرقت في ضحكاتها المجلجلة وهي تقول:

- لو ترين يا رناد كم عانى ذاك الكرسي المسكين، منذ نصف ساعة وهي تمسك به كي لا يأخذه أحد منها، فقد قامت بحجزه خصيصا لك.

ضحكت رناد بخفة ثم تطلعت إلى والدتها بامتنان وفي لحظة شاردة ارتسمت على ملامحها نظرة حادة قالت بعدها موجهة كلامها نحو أختها:

- ما هذا الذي عندك يا مايا؟ هل عدت لشرب القهوة!

ابتسمت مايا ولمعت أساريرها وهي تقول:

- اهدئي أيتها الحادة فلدي رخصة من الطبيب تسمح لي بشربها.

عادت إليها راحتها بعدما سمعت ما قالته وبابتسامة مشرقة أمسكت يدها وهي تقول:

- أنا جدّ فخورة بما أنجزته يا حلوتي.

بادلتها الابتسام بدورها ثم أطرقت رأسها بخجل لينسدل شعرها الحريري حاجباً تورد وجنتيها ثم ردت بعفوية:

- هل هذا يعني أنك ستسمين ابنتك على اسمي كما طلبت!
- ستتزوجين عن قريب، حينها سمّ ابنتك كما تريدين ولتتركي اسم ابنتي وشأنه.

تبادلتا النظرات لثوان ثم انطلقت الأختان تضحكان كما لم تضحكا من قبل قط.

-تمّت بحمد الله-